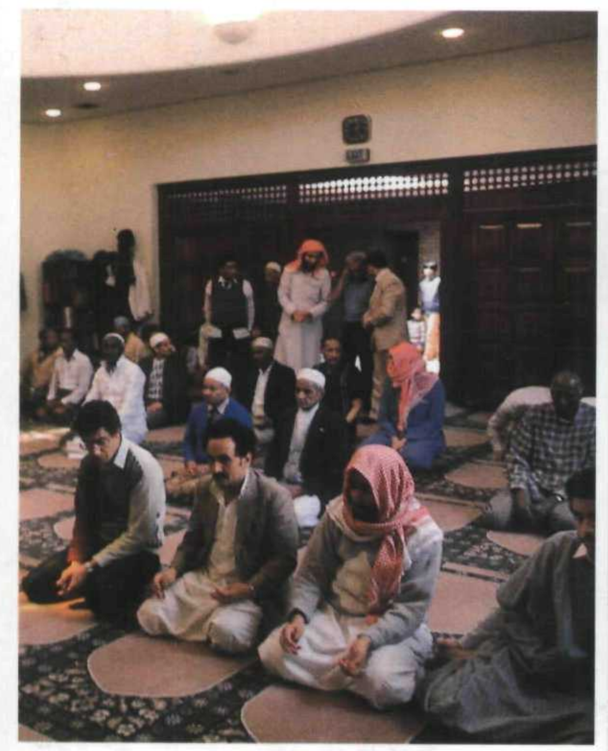
القافلة

رمضان ١٤٠٩هـ - ابريل/مايو ١٩٨٩م

جولة استطلاعية في عددٍ من:

المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية في بريطانيا



القافلة

THE CARAVAN — APR. / MAY 1989

رمضان ١٤٠٩هـ - ابريل/مايو ١٩٨٩م
العدد التاسع - المجلد السابع والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

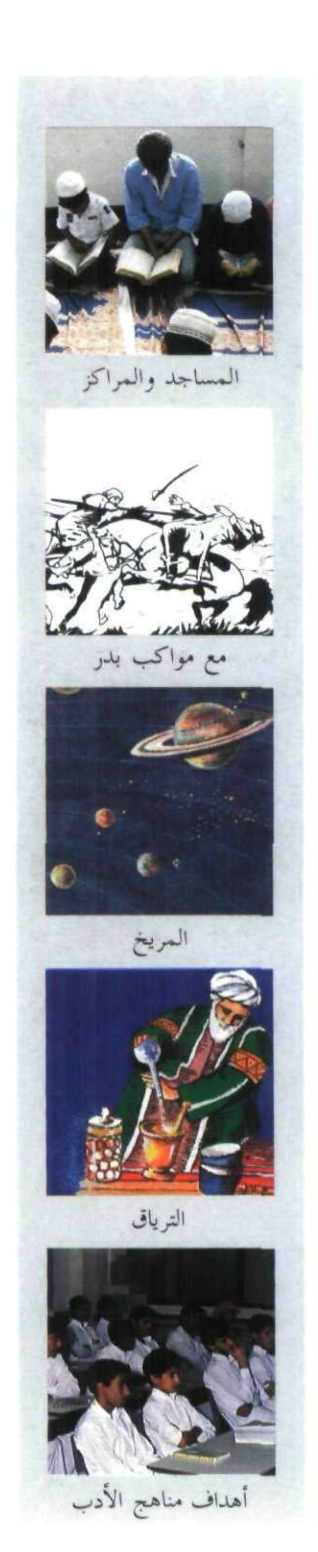
*

توزع مجاناً

*

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: إسماعيل إبراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك

*



المساجد والمراكز

مع مواكب بدر

المريخ

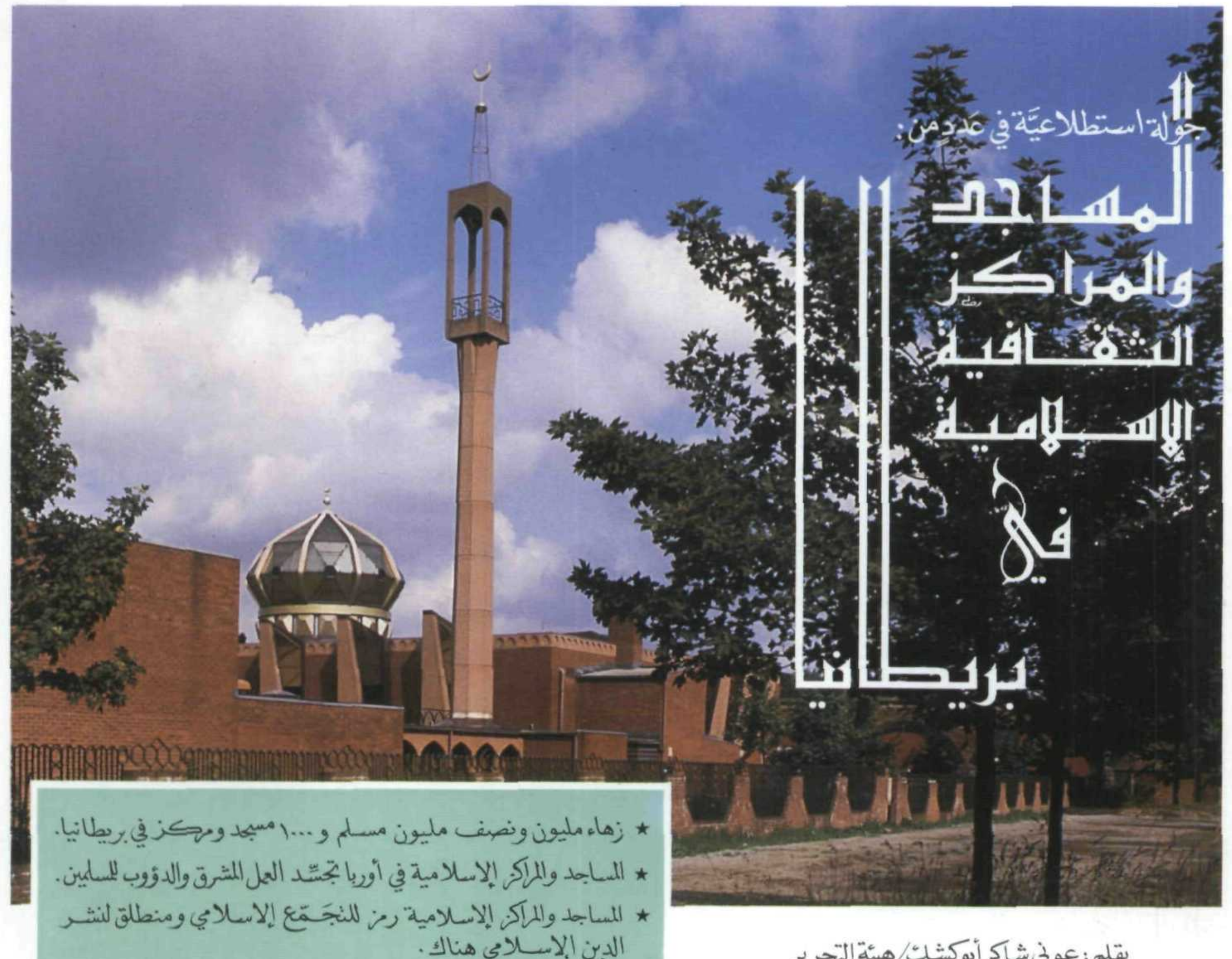
الترياق

أهداف مناهج الأدب

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٧٥٦٣٩٢

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبّر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبّر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لاتقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

صممت وطبعت بمطابع الولاء بالدمام
Designed & Printed By Al-Wala Printing Press - Dammam



جولة استطلاعية في عدد من:

المساجد والمراكز الثقافية الإسلامية في بريطانيا

★ زهاء مليون ونصف مليون مسلم و ١٠٠٠ مسجد ومركز في بريطانيا.
★ المساجد والمراكز الإسلامية في أوربا تجسّد العمل المشرق والدؤوب للمسلمين.
★ المساجد والمراكز الإسلامية رمز للتجمّع الإسلامي ومنطلق لنشر الدين الإسلامي هناك.
★ أُسِّسَ أول مسجد للمسلمين في بريطانيا سنة ١٨٩٠م.

بقلم: عوني شاكر أبوكشك/ هيئة التحرير

ينتشر المسلمون في العالم غير الاسلامي بنسب تتفاوت كثافتها من بقعة الى أخرى. ومع تباين الظروف الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلدان التي ينتمون اليها أصلا، فقد وفد كثير من المسلمين الى بلدان أوربية وغير أوربية لأغراض تعليمية أو تجارية أو صناعية، أو لممارسة أعمال مهنية متنوعة. ومع ان هؤلاء المسلمين ينحدرون من جماعات متميزة عِرْقِيا وثقافيا، إلا أنهم متحدون في ولائهم لعقيدتهم الإسلامية السمحة. وعلى الرغم من ان الجاليات الاسلامية تعيش اليوم وسط مجتمعات ذات تقاليد مغايرة لتقاليدهم، وتندرج في نطاق الأقليات السكانية فإننا نكاد نلمس توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد.

وعلى توالي الأيام وتعاقب الأعوام أخذت أعداد المسلمين في تزايد حتمي في البلدان التي استقروا فيها، وأخذوا يحسون بالحاجة الملحة الى وجود مساجد ومراكز ثقافية تجسد واقع وجودهم وتيسر لهم أداء عباداتهم، والقيام بأنشطتهم الثقافية والاجتماعية في إطار العقيدة الإسلامية، وتنشئة بنيهم تنشئة إسلامية.

وانطلاقا من هذا الإحساس الديني والوعي الروحي والاجتماعي، استطاعت الجاليات الاسلامية، بفضل من الله وتوفيقه، ثم بفضل التبرعات والمساعدات الخيرية التي تقدمها بعض الحكومات الاسلامية، وعلى رأسها حكومة خادم الحرمين الشريفين، أن تقيم عدداً من المساجد والمراكز الثقافية في المدن والمقاطعات المختلفة.

ولضمان دخل منتظم يفي باحتياجات هذه المساجد والمراكز الاسلامية ومتطلباتها، ويكفل لها مواصلة القيام بدورها على المستوى المنشود، قامت هذه الجاليات بشراء مبانٍ ومتاجر وعقارات وجعلتها وقفا على هذه المساجد لتحقيق أهدافها الاسلامية النبيلة.

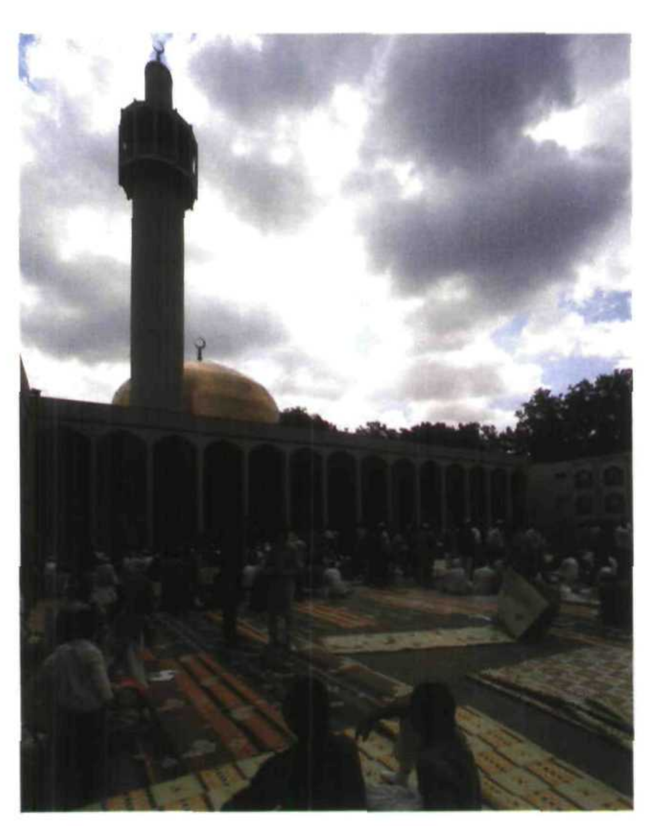
وتعتبر المملكة المتحدة من أكثر البلدان الاوربية التي وفد اليها أعداد كبيرة من الجاليات الاسلامية للأسباب التي ألمحنا اليها آنفاً، وهي تحتضن اليوم زهاء مليون ونصف مليون مسلم جُلّهم ينحدر من أصل باكستاني وهندي وبنغالي وماليزي وتركي. ويبلغ عدد المساجد والمراكز الاسلامية المنتشرة فيها حاليا نحو ١٠٠٠ مسجد ومركز، يقوم نصفها تقريبا في وسط لندن وضواحيها، وفي مدن برمنجهام، ومانشستر، وبرادفورد، وليدز، وليستر، وجنوب ويلز، ولوتون، وبرستون وغيرها.

وعلى الرغم من وجود العديد من هذه المراكز الثقافية الاسلامية والمساجد في بريطانيا، فان اعدادا من الجاليات الاسلامية الموجودة هناك ما تزال تفتقر الى مراكز اسلامية كاملة المرافق. علما بأن أول مسجد تم تأسيسه في المملكة المتحدة في «ووكنج» بمقاطعة «ساري» سنة ١٨٩٠ م.

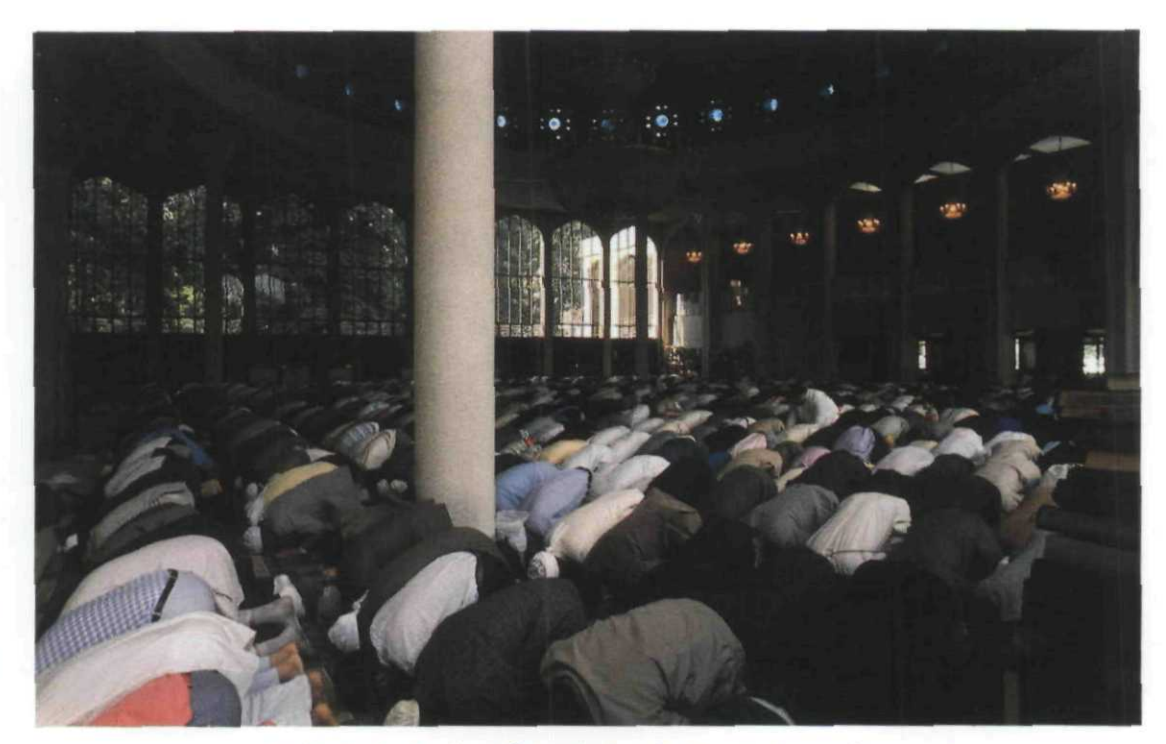
وللوقوف على تاريخ نشأة هذه المراكز الاسلامية وأنماطها وأوجه أنشطتها، قامت «القافلة» بجولة استطلاعية في عدد منها والتقت خلالها بالمسؤولين القائمين عليها.

المركز الثقافي الإسلامي

يُعرف هذا المركز أيضا باسم «مسجد لندن المركزي» وهو يحتل موقعاً طبيعيا أخاذا حيث تحفّ به حدائق «ريجنت» التي تضفي عليه بأزهارها النضرة وأشجارها الوارفة حسناً وجمالا. فعلى رقعة منبسطة متاخمة لهذه الحدائق يرتفع مبنى المسجد بمئذنته البيضاء الشامخة التي يبلغ علوها ٤٣ مترا وبقبته المكسوة من الخارج بطبقة نحاسية مغطاة بأخرى من اللدائن لوقايتها من المؤثرات الجوية. وقد التقت «القافلة» بالدكتور علي مغرم الغامدي، المدير العام للمركز، الذي تحدث عن نشأة هذا المركز وعن أنشطته المختلفة، وعما يتمتع به من صلات وثيقة مع الهيئات الاسلامية والمؤسسات الثقافية في الأقطار الاسلامية وسائر أرجاء العالم، فقال: ان فكرة الاهتمام بإنشاء مسجد في لندن تعود الى العشرينات من هذا القرن عندما أسس نظام «حيدرآباد» صندوقا لهذه الغاية. غير ان هذه الفكرة لم يكتب لها الظهور الى حيز الوجود. وبعد مرور زهاء عقدين، انبثقت مرحلة جديدة لإحياء هذه الفكرة تبناها السفير المصري لدى بريطانيا آنذاك، الاستاذ حسن نشأت، الذي استطاع ان يقنع رئيس المجلس البريطاني حينئذ، اللورد «لويد» بهذه الفكرة التي اثارها بدوره مع رئيس الوزراء البريطاني «نيفل شمبرلين» لاعتقاده بأن تشييد مكان عبادة للمسلمين في العاصمة البريطانية سيكون له أثر عميق في العلاقات البريطانية مع العالم الاسلامي. وازاء وجهة نظره هذه، اقترح اللورد «لويد» ان تقدم حكومته أرضا يقام عليها مسجد ومدرسة ملحقة به. فحظي هذا الاقتراح باستجابة



الفناء الامامي للمركز ويبدو فيه عدد من المصلين.



جموع من المصلين يؤدون صلاة العيد في القاعة الكبرى للمركز الثقافي الاسلامي .

فورية من وزير الخارجية ورئيس الوزراء، يومئذ، وقدمت الخزانة البريطانية مائة ألف جنيه استرليني لهذا الغرض. وسرعان ما تشكلت لجنة برئاسة السفير المصري وتم شراء الموقع الذي يقوم عليه المركز الحالي، والذي تبلغ مِساحته ما يقرب من ٨٤٠٠ متر مربع. وفي سنة ١٩٤٤ م، تأسس المركز الثقافي في « ريجنت لودج » في موقع متاخم لمتنزه « ريجنت »، وتم تشكيل مجلس أمناء مكون من رؤساء بعثات التمثيل الدبلوماسي للبلاد الاسلامية في بريطانيا، ليتولى سلطة تنفيذ مشروعات المركز ورعايتها . وبعد بضع سنوات، أقر مجلس الأمناء تصميما لمبنى المسجد قدمه المهندس المعماري المصري المعروف، رمزي عمر، وقُدِّرت تكاليفه آنذاك بربع مليون جنيه استرليني . واستطرد الدكتور علي الغامدي قائلا : وبعد وضع حجر الأساس في سنة ١٩٥٩ م، أبدى المعنيون بالأمر استعدادهم للبدء في التنفيذ، لكن بلدية لندن ولجنة الفنون الجميلة البريطانية رفضت التصميم الذي تقدم به المهندس رمزي عمر، بدعوى انه لا يتواءم مع الأسلوب المعماري للمنطقة المحيطة بمتنزه « ريجنت »، وكانت تلك بمثابة حجر عثرة في وجه تنفيذ المشروع . وبعد عشر سنوات من ذلك التاريخ، جدد السفراء المسلمون محاولاتهم لإحياء تلك الفكرة وكان في مقدمتهم سفراء المملكة العربية السعودية، وباكستان، والكويت، ولبنان، ومصر . وبعد دراسة مستفيضة متأنية أعلن عن مسابقة دولية لأفضل تصميم هندسي للمسجد تختاره لجنة التحكيم للحصول على تصميم معماري يحظى بالقبول . وتقدم للمسابقة اثنان وخمسون مهندسا، وكان صاحب التصميم الفائز فيها هو المهندس البريطاني « فردريك جبرت » . وفي سنة ١٩٧٣ م، وافق مجلس الأمناء ولجنة التحكيم معا على التصميم الفائز بعد ان أجريت عليه بعض التعديلات المقترحة، وبوشر العمل في أوائل سنة ١٩٧٤ م، وقدّرت تكاليف الإنشاء بثلاثة ملايين جنيه استرليني، بينما بلغت التكاليف الإجمالية ستة ملايين جنيه استرليني .

واضاف الدكتور الغامدي قائلا : « ومن خلال دعم العديد من حكومات الأقطار الاسلامية، أمكن، ولله الحمد، تنفيذ هذا المشروع الاسلامي الكبير في سنة ١٩٧٨ م، وقد أسهمت المملكة العربية السعودية بنصيب وافر في تكاليف انشائه والإنفاق عليه » .

أنشطة المركز

يضطلع المركز الثقافي الإسلامي في لندن بأنشطة وخدمات متعددة تشمل العبادات والتوجيه الديني، والخدمات الأُسَرية والاجتماعية والتعليمية والثقافية .

وتفتح أبوابه من طلوع الفجر الى ما بعد صلاة العشاء، وبالاضافة الى اقامة الصلوات الخمس، تقام دروس للوعظ عادة. وفي أيام الجُمَع، يزدحم المسجد بمئات المصلين، يصل عددهم في عيدَي الفطر والأضحى الى اكثر من خمسة عشر ألف مصل. ويتضاعف عدد المصلين في شهر رمضان المبارك. ومن الأنشطة الأخرى التي يمارسها المركز الاسلامي، تنظيم الندوات والمحاضرات التي تتناول جوانب متعددة من مناحي الفكر الاسلامي وعلومه، يتخللها العديد من المناقشات الهادفة. الى جانب ذلك، يجيب أئمة المسجد عن اسئلة المستفتين واستفساراتهم الدينية. كما ينظم المركز دروس ارشاد وتوجيه لأولئك الذين يشرح الله صدورهم للإسلام.

أحد الفصول الدراسية التي تنظمها ادارة المسجد لأبناء الجالية الاسلامية.

وفي نطاق الخِدمات الأسَرية والاجتماعية، يقوم المسجد باجراء عقود النكاح والشؤون الأسرية الأخرى. كما ينظم المركز الاسلامي زيارات للسجون أو الاصلاحيات توزع خلالها المطبوعات الارشادية، وهدايا الأعياد من حلوى وطعام على السجناء المسلمين، بالاضافة الى إيفاد موجِّهين يؤمون السجناء المسلمين في صلوات الجُمَع والأعياد. كذلك ينظم المركز زيارات للمرضى في المستشفيات يقدم لهم خلالها نسخا من المصحف الشريف، والكتب والمجلات والمطبوعات الاسلامية.

وفيما يختص بالخدمات التعليمية والثقافية، يتولى المركز تنظيم فصول دراسية خلال عطلة نهاية الاسبوع لتعليم أبناء الجالية الاسلامية ممن تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والخامسة عشرة، مبادىء اللغة العربية والدين الإسلامي بالاضافة الى تنظيم فصول تُعْنى بتدريس جوانب متعددة من الثقافة الاسلامية وترسيخ تعاليم الدين الاسلامي الحنيف في نفوسهم. كما يوفد المركز مدرِّسين مؤهَّلين لفصول مماثلة تنظمها الجمعيات والمنظمات الإسلامية في مناطق مختلفة من لندن وضواحيها، وارسال البعض منهم الى المدارس الحكومية التي تضم عددا من الأطفال المسلمين.

وصول

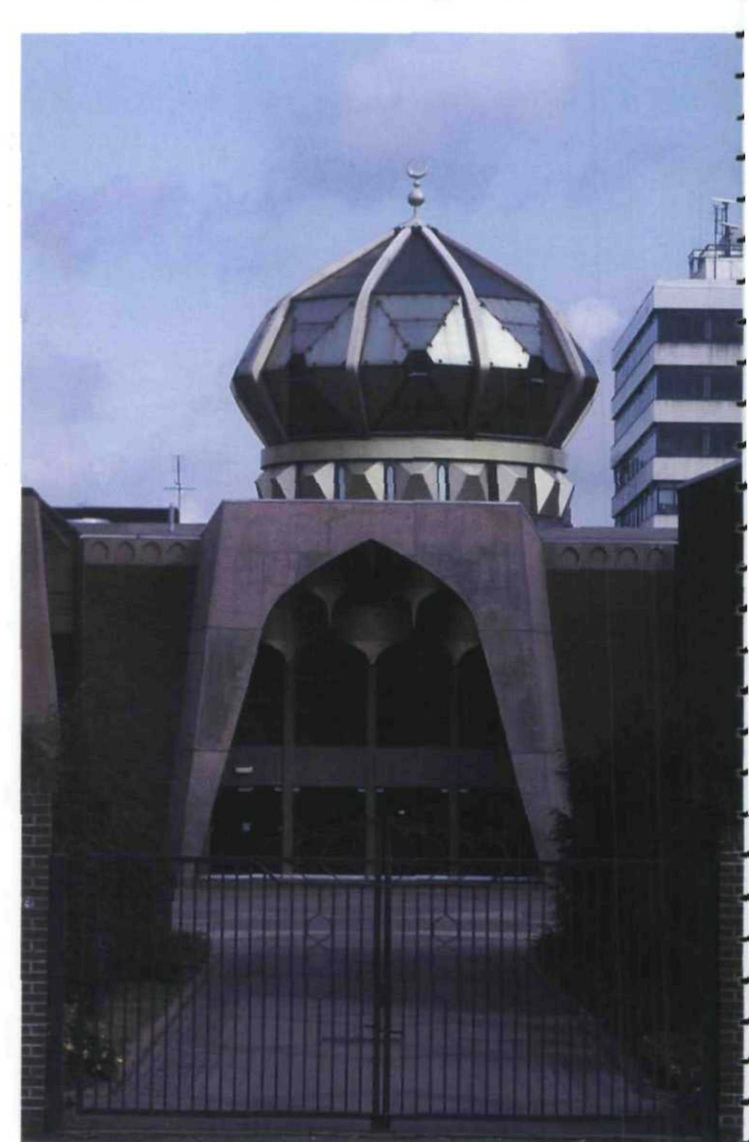
دور المركز الثقافي الاسلامي في تطوير الخدمات التعليمية والثقافية، يقول الدكتور علي الغامدي: «يحرص المركز، بين الحين والآخر، على دعوة الهيئات المختلفة الى توحيد خططها الخاصة بتعليم الأطفال مبادىء الدين الاسلامي، وإعداد منهج يُعَمَّم في المدارس، بالاضافة الى تشكيل لجنة من المدرِّسين المعنيين بشؤون التربية والتعليم. كما يسعى المركز عبر قنوات الاتصال الى التفاوض مع السلطات البريطانية حول تدريس مادة الدين الاسلامي. كما ان للمركز ممثلا دائما لدى مؤتمر الأديان الذي يُعنى بالتعليم الديني بصفة عامة. ويوجِّه المركز، من وقت الى آخر، دعوات الى كبار المفكرين والعلماء المسلمين في بريطانيا وخارجها لإلقاء محاضرات وعقد ندوات مختلفة».

ولنشر الوعي الثقافي الاسلامي بين الجاليات الاسلامية عبر الكلمة المطبوعة، يصدر المركز مجلة فصلية باللغة الانجليزية «The Islamic Quarterly» يتم توزيعها على مختلف المراكز والمعاهد والمنظمات الاسلامية في بريطانيا وسائر انحاء العالم، وأخرى إخبارية تتحدث عن شؤون المركز وأنشطته، وتتضمن عددا من الفتاوى والتوجيهات والارشادات الدينية. ومن بين الكتب والمطبوعات التي أصدرها المركز بهذا الشأن، كتاب عن المؤسسات الاسلامية وحقوق المسلمين في القدس ومكانتها لدى المسلمين، بالاضافة الى كتيبات عن أحكام الحج، والصيام، والصلاة، والأسْرة، وحقوق الانسان في الاسلام.

وتعزيزا للدور الثقافي الذي يضطلع به المركز، فقد أقام مكتبة ضخمة تزخر بآلاف الكتب والمخطوطات والمؤلفات والمجلدات والمراجع التي تُعْنى بالفكر الاسلامي من علوم وتاريخ وآداب. كما يحرص المركز

على تقوية الروابط بين أفراد الجاليات الاسلامية ومنظماتها وذلك بتنظيم اجتماعات تهدف الى توحيد الاحتفال بالعيدين وبَــدء رمضان ونهايته . وقد شُكلت لهذه الغاية لجنة تدعى « لجنة رؤية الهلال » ، حيث تعقد اجتماعات دورية لها بالمركز . وهناك لجنة أخرى تُعنى بشؤون المساجد القائمة ورعايتها وتعمل على دعم المشاريع الرامية الى تشييد مزيد من المساجد ودور العبادة ومدارس ملحقة بها .

وحول تنسيق جهود أبناء الجالية الاسلامية ، يقول الدكتور علي الغامدي : « يتولى المركز تنظيم مؤتمرات للمدرِّسين المسلمين العاملين في المدارس الحكومية بقصد الاستفادة من خبرتهم وجهودهم في تدريس مبادىء الدين الاسلامي لأبناء المسلمين ، بالاضافة الى تنظيم مؤتمرات اخرى للأطباء والمهندسين



الواجهة الامامية لمبنى مسجد شرق لندن .

وغيرهم . ويقوم بجمع المساعدات للمنكوبين والمعوزين والمحتاجين من المسلمين » . ويسترسل الدكتور الغامدي قائلا : اننا في هذا المركز نسعى دائما لتحقيق تفاهم أفضل واقامة علاقات طيبة بين الجاليات الاسلامية ، والسلطة والمجتمع البريطانيين ، وذلك عن طريق استقبال كثير من رجال الدين والاعلام والتربية والتعليم ، ونتبادل معهم الآراء ، والنشرات والمطبوعات الملائمة ، مما جعل هذا المركز ، بحمد الله ، يتمتع بمكانة طيبة لدى الجهات البريطانية التي غالبا ما نستطلع رأي العاملين فيها حــول كثير من القضايا والمسائل التي تهم الجاليــة الإسلامية » .

مسجد شرق لندن

يقع هذا المسجد في حي يقطنه عدد كبير من الجالية الاسلامية معظمهم من الباكستانيين والهنود والصوماليين . وتعود فكرة اقامته الى سنة ١٩١٠ م ، عندما تبنّى لفيف من الشخصيات الاسلامية البارزة أمثال السلطان « محمد شاه » ، جد « أغا خان » الحالي ، والسيد أمير علي ، عضو امانة الدولة للمجلس الهندي في لندن ، قرارا باقامة صندوق لجمع التبرعات والأموال اللازمة لتشييد مسجد في لندن ييسر لرعايا الجاليات الاسلامية أداء فرائض الصلاة ، والشعائر الدينية ، وممارسة أنشطتهم الاجتماعية والثقافية والخيرية . وبحلول سنة ١٩٢٦ م ، توفر في الصندوق مبلغ من المال يكفي للنهوض بهذا المشروع المقترح . وفي سنة ١٩٣٤ م ، أولى العالم الاسلامي الراحل ، « امداد علي كاظمي » ، نائب رئيس جامعة سند آنذاك ، هذا المشروع اهتماما كبيرا ، فأسس بالتعاون مع عدد من المسلمين جمعية اطلق عليها اسم « الجمعية الاسلامية » تتولى القيام بالأعمال والأنشطة الاجتماعية للمسلمين ، والاشراف على المسجد وتصريف شؤونه الادارية . وفي سنة ١٩٤٠ م ، تم شراء ثلاثة مبان سكنية في « ستبني ــ Stepney » ، ثم حولت فيما بعد الى مسجد . وبذلك تم تأسيس أول مسجد في لندن ، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة أمَّها سعادة السفير السعودي آنذاك ، الشيخ حافظ وهبة ، يرحمه الله .

وفي سنة ١٩٧٥ م ، تم شراء الموقع الذي يحتضن المسجد حاليا ، وأقيمت عليه بصورة مؤقتة ، بعض

المباني المتواضعة ريثما ينتهي العمل من تشييد المبنى الرئيسي لمسجد شرق لندن الجديد الذي أسهم بتكاليف بنائه عدد كبير من قادة الدول الاسلامية وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز . وتم افتتاح هذا المسجد في شوال ١٤٠٥ هـ (يوليه ١٩٨٥ م) . وبهذه المناسبة ، وجّه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رسالة الى المسؤولين عن المسجد ، هذا نصها : « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : ﴿ **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾[١] . اخواني في الدين ، أهنئكم اولا بانجاز هذا الصرح الخالد ... وأبعث اليكم والى جميع المسلمين في المملكة المتحدة بأطيب التحيات وأخلص التمنيات بعيد الفطر المبارك ... أرجو الله تعالى أن يزيد من توفيقكم ، وان يجعلكم هداة مهتدين ، وان يجعل من انجازكم هذا منبع نور ومصدر هداية ومقصدا ومركزا للعبادة .

لقد تابعت عملكم هذا وسعدت بالمساهمة فيه ، ولا أشك ان أول مسجد شيد في لندن كان في هذا الموضع الذي مثل جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز سفيره في لندن في ذلك الوقت .

ان انجازكم هذا هو ثمرة جهودكم وبذلكم وتعاونكم وتجردكم . لقد اخبرت بأنكم أخذتم زمام المبادرة وجمعتم مبلغا شجعكم على المضي قدما في البناء بعزيمة لا تكل وصبر لا ينفد واعتماد بعد الله على انفسكم حيث وفرتم من مدخراتكم على قلتها مبلغا شجع الآخرين على الاسهام في عملكم الجاد المثمر .

ان الشباب المسلم في مهجركم هذا في مسيس الحاجة الى توجيهكم وارشادكم وتكريس جهودكم في تنشئته تنشئة صالحة روحية فاجعلوا من هذا الصرح مكانا يتلى فيه كتاب الله عز وجل وتدرس فيه سنة نبيه ورسوله محمد ، ﷺ . علموا ناشئتكم الاسلام وآدابه وأخلاقه كي يتجنبوا الزلل واغرسوا في قلوبهم فهما صحيحا للاسلام وعوّدوهم المحافظة على الصلوات . قال تعالى : ﴿ **يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا** ﴾[٢] ، وجاء في الحديث الصحيح : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فهد بن عبدالعزيز
ملك المملكة العربية السعودية

(١) ـــ سورة التوبة ، من الآية رقم / ١٨ .
(٢) ـــ سورة التحريم ، من الآية رقم / ٦ .

والجدير بالذكر أن هذا المسجد يتألف من مصلّيين مفروشين بسجاد فاخر ، وهو يتسع لأكثر من ٢٠٠٠ مصل بالاضافة الى مكان مستقل للنساء . كما يضم المسجد مرافق خاصة لتدريس ابناء وبنات المسلمين ، ومكتبة تحوي اعدادا كبيرة من الكتب والمراجع الاسلامية ، وقاعات للاجتماعات وغيرها من المرافق الضرورية . ويزدحم المسجد بالمصلين أيام الجمعة وخلال شهر رمضان المبارك وفي صلاتي العيدين .

ومن الأنشطة المنوطة بمسجد شرق لندن ، اضافة الى العبادات ، عقد فصول دراسية مسائية لأكثر من ٧٠٠ طالب وطالبة ، وأخرى نهارية خلال يومي عطلة نهاية الاسبوع . وتشمل الدراسة في هذه الفصول ، العبادات والتعاليم الاسلامية . كما يخصص فصل لتلاوة القرآن الكريم وحفظه على أيدي نفر من حفظة القرآن الكريم ، بالاضافة الى عقد ثلاثة فصول اسبوعيا تخصص لتدريس الكبار . كما يتطوع القائمون على المسجد لمساعدة اخوانهم من أبناء الجاليات الاسلامية في كثير من أمورهم وقضاياهم الأسَرية والاجتماعية والدينية وغيرها من الخِدمات والإجراءات الرسمية التي يحتاجون اليها .

ويحرص المسؤولون عن هذا المسجد ايضا على تنظيم حملات لجمع التبرعات والأموال والزكاة والصدقات لتوزيعها على الأسر المحتاجة واليتامى والفقراء والمعوزين ، والطلبة المحتاجين لمساعدتهم في مواصلة تحصيلهم العلمي ، وكذلك على الجمعيات والمؤسسات الخيرية . ومن بين المسؤولين الذين يتولون تصريف شؤون المسجد الادارية ، الشيخ سليمان محمد جيثا ، رئيس مجلس ادارة المسجد ، والشيخ شودري محيي الدين ، الأمين الفخري .

مسجد ويمبلدون

يحمل هذا المسجد اسم المدينة التي يقع فيها ، وتقع « ويمبلدون » في الجزء الجنوبي من بريطانيا ، وهي مشهورة بمرافقها الرياضية وخاصة ملاعب « الكركت ـ Cricket » والتنس الأرضي . ويبلغ تعداد سكانها نحو ٧٠ ألف نسمة ، من بينهم خمسة آلاف مسلم ينتمون الى الجاليات الهندية والباكستانية والعربية . ويرجع تاريخ تأسيس هذا المسجد الى سنة ١٩٧٧ م ، وهو مكون من



منظر داخلي لمسجد ويمبلدون .

طابقين يتسع الواحد منهما لـ ٢٥٠ مصلّياً . وخــلال زيارة « القافلة » للمسجد ، التقت بالشيخ حسن خاجة محمد حسن ، السكرتير الفخري للمسجد ، الذي جاء الى المملكة المتحدة منذ ثلاثة عقود خلت والذي حدثنا عن الظروف الصعبة التي واجهها المسلمون في هذه المدينة قائلا : نحن المسلمين القاطنين هنا ، بذلنا كل جهد ممكن لتوفير مكان يؤدي فيه اخواننا المسلمون صلواتهم وعباداتهم ، ويمارسون فيه أنشطتهم الدينية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بشراء قطعة أرض متواضعة لبناء مسجد يؤمه أبناء الجالية الاسلامية ، وجمعنا مبلغا متواضعا من المال عبر تبرع اخواننا ، وشرعنا في عملية البناء في سنة ١٩٧٤ م ، بعد ان أخذنا الموافقة من قبل السلطات المحلية . وفي أغسطس ١٩٧٧ م ، تم بحمد الله وتوفيقه افتتاح مسجد ويمبلدون . ولكن المساحة الحالية للمسجد أخذت تضيق بتزايد أعداد المسلمين في هذه المدينة مما حدا بنا الى القيام بتوسعة مرافقه بالاضافة الى تبني مشروع اقامة مدرسة ابتدائية لأبنائنا لتمكينهم من دراسة الدين الاسلامي وتعاليمه وتحفيظهم القرآن الكريم . وتقدر تكاليف هذه التوسعة المرتقبة بنحو نصف مليون جنيه استرليني . وحول الأنشطة المحدودة التي يضطلع بها القائمون على هذا المسجد ، قال الشيخ حسن : « يستقبل المسجد يوميا لمدة ساعتين ما عدا يومي السبت والأحد مجموعات من أبناء الجالية الاسلامية ممن تتراوح أعمارهم بين الخامسة والخامسة عشرة لتدريسهم القرآن الكريم وتزويدهم بالعلوم الاسلامية » .

ولتوفير مصدر دخل ثابت للمسجد ، فقد استؤجرت ثلاثة مبان وجعلت وقفا عليه . ولهذا المسجد مجلس أمناء يتولى ادارته وتصريف شؤونه ، وهو على اتصال بالمركز الثقافي الاسلامي ومركز البعثة الاسلامية من اجل تنسيق الجهود وتدارس بعض القضايا التي تهم المسلمين . ويستقبل المسجد ، من وقت الى آخر ، عددا من طلبة المدارس البريطانيين وأساتذتهم ، لاجراء حوار مع الدعاة والمرشدين المسلمين حول بعض القضايا ووجهة نظر الاسلام تجاهها .

جامع مسجد لوتن

« لوتن » ، مقاطعة تقع في الجنوب الشرقي من وسط بريطانيا . تضم بين سكانها نحوا من ٢٠ ألف مسلم معظمهم من الجالية الباكستانية . بها مسجد ، يعود تاريخ انشائه الى سنة ١٩٧١ م ، كما حدثنا الشيخ قاضي عبدالعزيز ، المشرف الاداري ، حيث قام أبناء الجالية الاسلامية في هذه المقاطعة بشراء ثلاثة بيوت مؤقتة يؤدي المسلمون فيها صلواتهم ، أصبحت مقرًا

لممارسة الأنشطة الاجتماعية والثقافية والانسانية حتى سنة ١٩٨١ م، عندما تقرر هدم هذه البيوت واقامة مسجد حديث على أرضها. وقد اكتمل البناء في سنة ١٩٨٥ م، وأخذ أبناء الجالية الاسلامية يؤدون في رحابه الصلوات الخمس بيسر وطمأنينة. ويتكون هذا المسجد الجامع من مكانين للصلاة يتسعان لأكثر من ٢٥٠٠ مصلّ، ومكتبة فيها العديد من الكتب والمراجع الاسلامية، كما يوجد في المسجد فصول لتدريس ابناء المسلمين. وقد أربت تكاليف إنشائه على ٨٠٠ ألف جنيه استرليني.

والأنشطة التي يضطلع بها هذا المسجد تكاد تكون مماثلة لتلك التي يقوم بها سائر المساجد والمراكز الاسلامية المنتشرة في ربوع بريطانيا.

ولإتاحة الفرصة أمام أبناء الجالية الاسلامية لمواصلة تحصيلهم الدراسي هنا، تم تشييد مدرسة نظامية أُطلق عليها اسم «الجامعة الاسلامية»، ومدة الدراسة فيها ثماني سنوات. وقد بلغت تكاليف انشاء هذا المبنى الذي اكتمل بناؤه في اغسطس ١٩٨٧ م، نحو ٢٠٠٠٠٠ جنيه استرليني. ومع ذلك فان الجهود تتجه الى توسيع مرافق هذا المسجد الجامع لكي يتسنى للقائمين عليه النهوض برسالته السامية، وتوسيع نطاق خدماته تجاه الاسلام والمسلمين.

مسجد برمنجهام المركزي

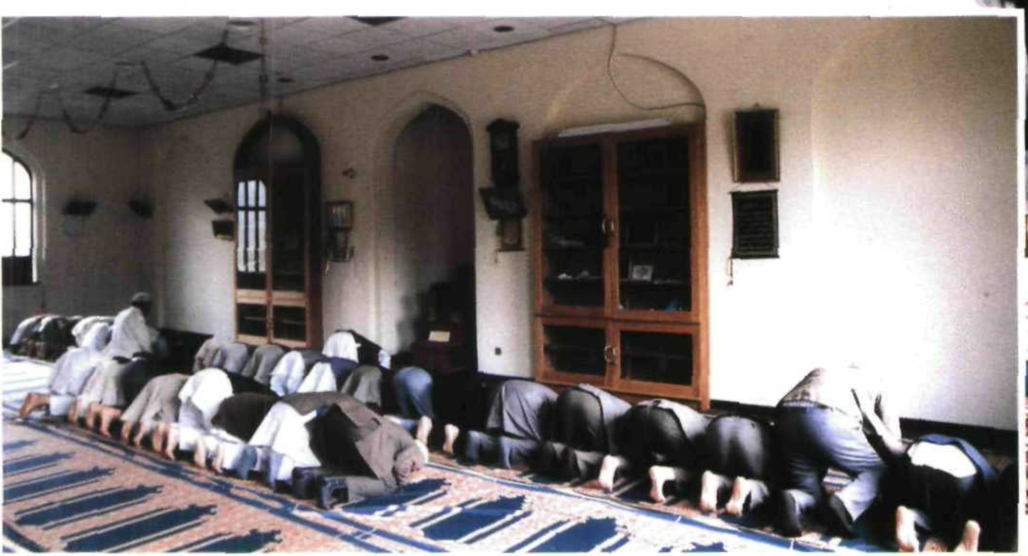
كان هذا المسجد المحطة الخامسة في جولتنا الاستطلاعية. وتعد مدينة برمنجهام ثاني مدينة في المملكة المتحدة من حيث موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يتوسط قلب بريطانيا، ويبلغ عدد سكانها نحو مليوني نسمة. وهي مدينة صناعية هامة تشتهر بصناعة السيارات والطائرات والحديد والصُّلب. ويبلغ عدد المسلمين المقيمين في هذه المدينة وضواحيها نحو ١١٥ ألفاً معظمهم من الجالية الباكستانية التي يناهز تعدادها ٨٠ ألفاً. ويزاول هؤلاء المسلمون أعمالاً تتصل بالصناعة والتجارة والحرف المهنية.

وإبان هذه الجولة التقت «القافلة» بالشيخ الدكتور خالد علوي، الرئيس الاداري للمسجد، الذي حدثنا عن بناء هذا المسجد حيث ساعدت الدول الاسلامية على اقامته وفي مقدمتها حكومة المملكة العربية السعودية. وقد اكتمل بناؤه في سنة ١٩٧٥ م، وبلغت تكلفته الاجمالية نحوا من ٥٠٠٠٠٠ جنيه استرليني ويتسع لما يقارب من ٤٠٠٠ مصلّ، ويزدحم بالمصلين في أيام الجُمَع وخلال شهر رمضان المبارك والعيدين.

ويتبع المسجد المركزي مدرستان ثانويتان، احداهما للبنين والأخرى للبنات، وتتسع الواحدة منهما

فتاتان تعكفان على تلاوة القرآن الكريم في مصلّى النساء بالمسجد.



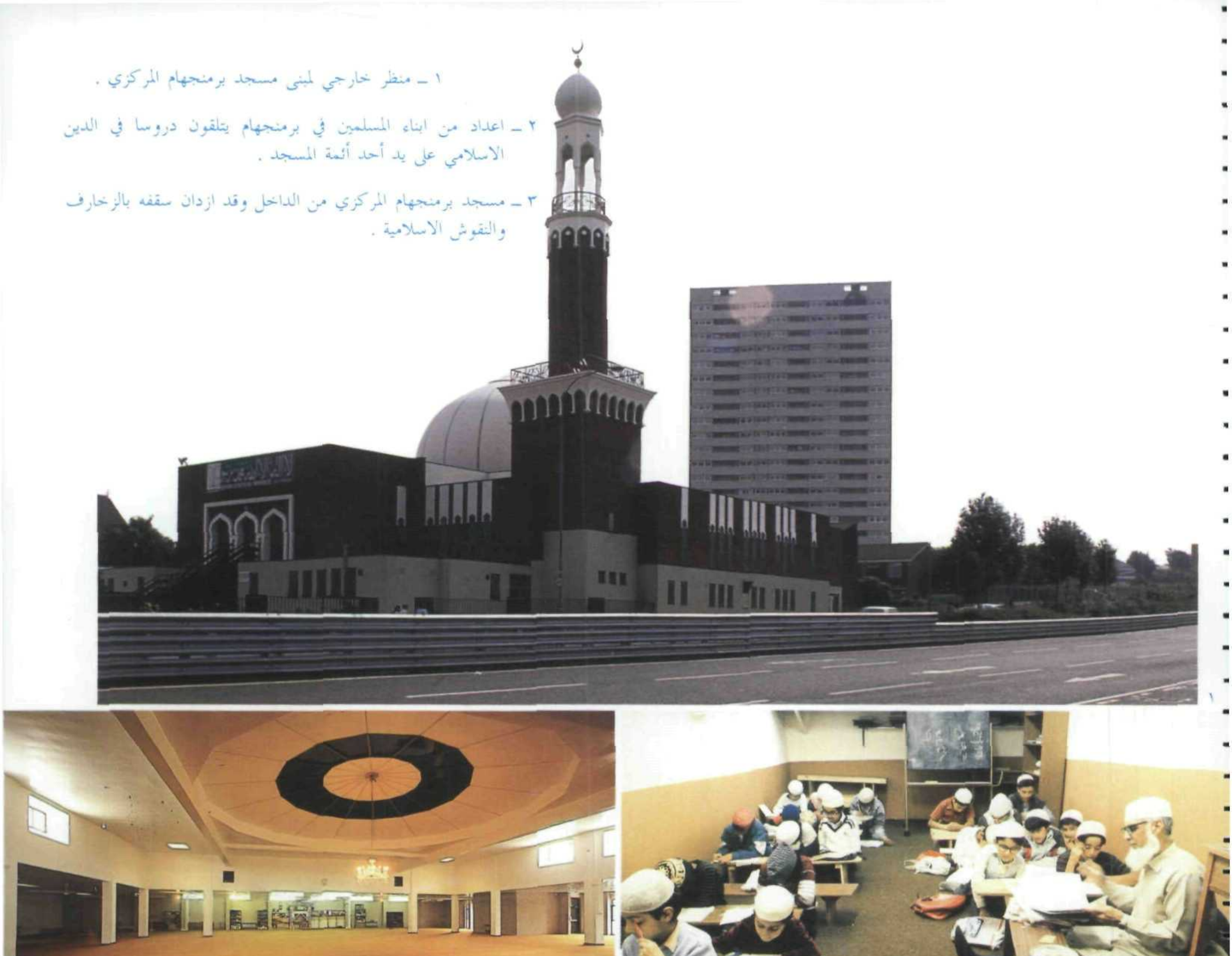


عدد من المصلين في مسجد لوتن.

١ ـ منظر خارجي لمبنى مسجد برمنجهام المركزي .

٢ ـ اعداد من ابناء المسلمين في برمنجهام يتلقون دروسا في الدين الاسلامي على يد أحد أئمة المسجد .

٣ ـ مسجد برمنجهام المركزي من الداخل وقد ازدان سقفه بالزخارف والنقوش الاسلامية .



لنحو ٥٠٠ طالب . كما ان هناك فصولا مسائية تخصَّص لتدريس الاطفال المسلمين ، الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والحادية عشرة ، القرآن الكريم ترتيلا وتفسيرا كجزء من رسالة المسجد . ويتولى رئاسة المدرسة الاسلامية الاستاذ خرَّم بشير أمين وهو من خريجي جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض .

ومن بين الأنشطة الأخرى التي يضطلع بها هذا المسجد استقبال مجموعات من الطلبة وموظفي الدوائر والمؤسسات الحكومية في أوقات محددة للاستماع الى شرح واف عن كثير من مفاهيم الدين الاسلامي وتعاليمه وأحكامه ، كما ينتدب المسجد أحيانا بعض دعاته وواعِظيه الى المدارس والكليات او الدوائر الحكومية ، بناء على طلب من المسؤولين فيها ، للقيام بشرح عن الاسلام ومفاهيمه ، والردّ على كثير من الاستفسارات التي تدور حول رأي الاسلام وحكمه في كثير من الأمور .

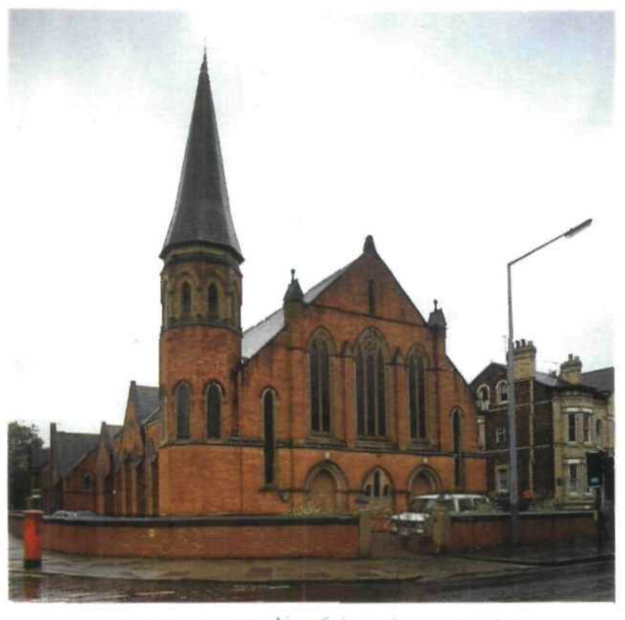
ومن جانب آخر ، يعرض المسجد لفترة خمسة ايام في الاسبوع ، عبر التلفاز ، برامج تثقيفية حول الاسلام ، ترد اليه من قبل سفارات بعض الدول الاسلامية بناء على طلب أمانة المسجد . ويضم المسجد مكتبة تحتوي على ٤٠٠٠ كتاب ومؤلف يتصل معظمها بالثقافة الاسلامية . وتظل أمانة المسجد على اتصال بمركز البعثة الاسلامية بلندن ، وبالمراكز الثقافية الاسلامية الأخرى المنتشرة في بريطانيا للتشاور حول كثير من

القضايا الوثيقة الصلة بأوضاع المسلمين في بريطانيا وخارجها .

المركز الإسلامي في مانشستر

يعيش في مدينة مانشستر زهاء ٤٠ ألف مسلم ينحدرون من أصل عربي وباكستاني وهندي وبنغالي . وتمثل الجالية السورية غالبيتهم . وينخرط معظم هؤلاء المسلمين في الأعمال المهنية والتجارية والوظيفية بالاضافة الى من يواصلون تحصيلهم العلمي . ويعتبر هذا المركز الاسلامي أحد المساجد الرئيسية المنتشرة في مانشستر . وفي لقاء مع عضو الهيئة الادارية للمركز وإمامه ، الشيخ محمد سعيد البادنجكي ، حدَّثنا بقوله : « ان وجود هذا العدد من المسلمين حتَّم إقامة مسجد ومركز إسلامي لإقامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين . وانطلاقا من هذا الإحساس ، نظَّم أبناء الجالية الاسلامية حملة تبرعات جمعوا خلالها مبلغا من المال ابتاعوا به كنيسة كبيرة حولوها الى مركز اسلامي وذلك في سنة ١٩٦٧ م .

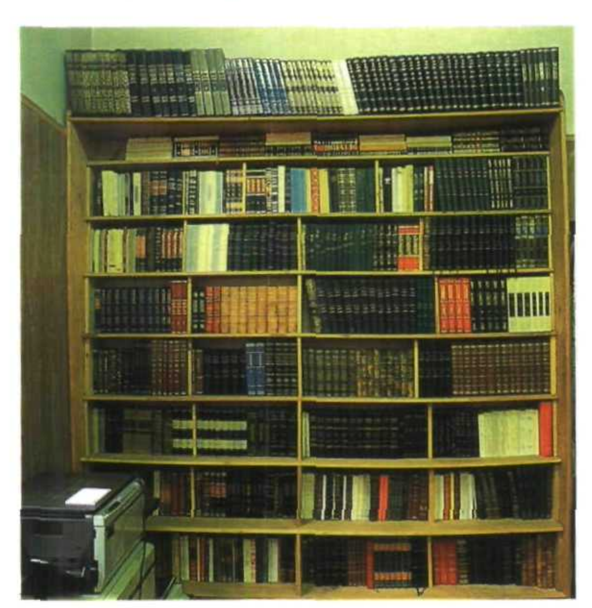
وعن الأنشطة التي يضطلع بها المركز الاسلامي ، قال الشيخ البادنجكي : « تقوم امانة المركز التي تضم في عضويتها خمسة أعضاء ، بأنشطة دورية ، اسبوعية وشهرية وسنوية ، تشمل برامج تثقيفية تتخللها جلسات أسبوعية في المساء تُلقى فيها دروس في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها من الدروس التي تهم الانسان المسلم ، فيخرج من المركز وهو منشرح الصدر . كما ينظم المركز في رمضان كل عام برنامجا خاصا يبدأ من بعد صلاة العصر وينتهي بانتهاء صلاة التراويح ويستمر في بعض الأيام حتى صلاة الفجر . ويشمل هذا البرنامج عقد حلقات تتصل بالقرآن الكريم ومجالس العلم . وفي نهاية شهر رمضان المبارك يبدأ الإعداد لصلاة العيد » . ويسترسل الشيخ البادنجكي قائلا : « وحرصا من المركز الاسلامي على تنشئة صغار الجالية الاسلامية نشأة إسلامية ، فقد أقام مدرسة اسبوعية صباح كل سبت تضم أربعة فصول . ويتولى التدريس فيها بعض الإخوة والأخوات تطوعا . ويتلقى الطلبة في هذه الفصول دراسة القرآن الكريم ، ترتيلا وتجويدا وتحفيظا ، ومبادىء اللغة العربية ، قراءة وكتابة ، والسيرة النبوية وغير ذلك مما يحتاج اليه المسلم من أحكام الشريعة الاسلامية . والى



منظر خارجي لمبنى المركز الاسلامي في مانشستر .

جانب هذه المدرسة ، أنشأ المركز مدرسة أخرى للكبار مساء كل ثلاثاء وأربعاء لتعليم قراءة القرآن الكريم لمن لا يحسنها ، وتعليم اللغة العربية للراغبين في تعلمها » .

ويقع هذا المركز الاسلامي في منطقة ددزبري غربي مدينة مانشستر ويبعد عن قلب المدينة ثمانية كيلومترات . ويتكون مبناه من قسمين ، القسم الأول ويضم المسجد وتبلغ مِساحته نحو ٣٥٠ مترا مربعا ، وطابقا علويا خاصا بالنساء لأداء الصلاة ، ومكتبا للامام ومكتبة تضم الكثير من الكتب التي تتصل بمختلف العلوم الشرعية . أما القسم الثاني فيشمل قاعة كبيرة



جانب من مكتبة المركز . ويسعى المسؤولون الى توسيعها وزيادة مقتنياتها .

تستخدم في الأعياد والاحتفالات والمؤتمرات، وكذلك قاعة لعرض أشرطة وثائقية عن الإسلام. ويتسع المسجد لنحو ألف مصلّ.

مركز غلاسكو الإسلامي

غلاسكو هي أكبر مدن اسكتلندا، وتتمتع بمركز تجاري وصناعي هام. ويربو تعداد سكانها على المليون نسمة من بينهم نحو عشرين ألف مسلم جُلُّهم من الباكستانيين والآخرون من العرب. وترجع فكرة تأسيس هذا المركز الاسلامي الى سنة ١٩٧٨م، عندما أجمع أبناء الجاليات الاسلامية في غلاسكو وضواحيها على ضرورة وجود دار للمسلمين يؤدون فيها شعائرهم الدينية ويلتقون فيها لتدارس أوضاعهم وأحوالهم الاجتماعية، ولممارسة أنشطتهم الانسانية والخيرية. وقد تحقق لهؤلاء المسلمين بفضل الله ثم بفضل جهودهم وتضافرهم هدفهم المنشود باقامة هذا المركز الحديث وافتتاحه رسميا في سنة ١٩٨٤م، في حفل أقيم بهذه المناسبة تحت رعاية فضيلة امام الحرم المكي الشريف الشيخ محمد السبيّل وبحضور معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف، الأمين العام لرابطة


مبنى المركز الاسلامي الحديث في غلاسكو يتسم بنمط معماري إسلامي جميل.

العالم الاسلامي بمكة المكرمة. وبلغت تكاليف انشائه ثلاثة ملايين جنيه استرليني، أسهمت المملكة العربية السعودية بمبلغ مليون جنيه استرليني. ويقوم هذا المركز على مساحة تقدر بنحو ٨٤٠٠ متر مربع، ويتميز بنمط هندسي جميل يختلف عن الأنماط الهندسية التقليدية للمساجد والمراكز الاسلامية الأخرى المنتشرة في بريطانيا. وهو يتسع لأكثر من ١٥٠٠ مصلّ. ويشرف على ادارته وتصريف أموره السيد بشيرمان، وهو باكستاني يقيم في غلاسكو منذ اكثر من ٣٠ سنة، وهو أحد الأعضاء السبعة الذين يتكون منهم مجلس أمناء المركز. ويشغل معالي الدكتور عبدالله نصيف منصب الرئيس الفخري للمركز.

وعن الأنشطة التي يؤديها مركز غلاسكو الاسلامي قال الاستاذ بشيرمان: ان الأنشطة التي يضطلع بها مركزنا هذا تكاد تكون مماثلة لتلك الأنشطة والخدمات المنوطة بسائر المراكز الاسلامية الأخرى في بريطانيا. فلدينا على سبيل المثال فصول دراسية تعقد يوميا ما بين الخامسة والسابعة مساء للطلبة المسلمين المقيمين في هذه المدينة ممن تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة وما فوق، يتلقون فيها مبادىء القراءة والكتابة. وهناك ايضا مدرسة خاصة للطالبات المسلمات ممن تتراوح أعمارهن بين الخامسة وما فوق، تفتح أبوابها يوميا من العاشرة صباحا وحتى الواحدة ظهرا. والى جانب ذلك، هناك مشروع لا يزال قيد التنفيذ لبناء مدرسة ثانوية للبنات. كما يستقبل المركز، وفقا لمواعيد محددة، أعداداً من الطلاب ورجال الدين والفكر لإعطائهم فكرة عن مفاهيم الدين الاسلامي وتعاليمه وأحكامه ووجهات نظره في كثير من القضايا الاجتماعية والانسانية.

المركز الإسلامي في كاردف

كانت كاردف، عاصمة مقاطعة جنوب ويلز، نهاية المطاف في هذه الجولة الاستطلاعية، وهي مدينة كبيرة تضم نحو ٣٠٠ ألف نسمة، وتشتهر بعدد من الصناعات الهامة كصناعة بناء السفن، والصُّلب والحديد، والورق. وهي ذات ميناء بحري حيوي. ويعيش في هذه المدينة وضواحيها قرابة ٢٠ ألف مسلم

ينحدرون من أصل باكستاني وصومالي واندونيسي وعربي . ولدى زيارتنا لهذا المركز الاسلامي ، التقينا بالشيخ محمد الشتيحي ، امام المركز ، والمنتدب من قِبَل جامع الأزهر الشريف ، حيث وافانا بنبذة تاريخية عن قيام هذا المركز الاسلامي الذي تم افتتاحه سنة ١٩٨٤ م ، وهو يتسع لـ ٧٠٠ مصلّ . وبلغت تكاليف انشائه ٤٠٠٠٠٠ جنيه استرليني . وقد استهل الشيخ الشتيحي حديثه عن هذا المركز قائلا : تولى رعاية هذا المشروع الاسلامي كل من الشيخ احمد عبدالرحيم عبدالواسع ، ويشغل حاليا منصب الرئيس العام لأمانة المركز ، والشيخ سعيد حسن اسماعيل ، الامام المساعد ، وكلاهما من أبناء الجالية اليمنية . وقد أخذا على عاتقهما مهمة جمع التبرعات والأموال من المسلمين المقيمين في كاردف وغيرها من المدن البريطانية ، الى جانب المعونات التي تقدمها رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وبعض سفارات الدول الاسلامية وذلك للنهوض بهذا المشروع الخيري واخراجه الى حيز الوجود مما يسر على المسلمين هنا في كاردف تأدية شعائرهم الدينية ، وممارسة أنشطتهم التربوية والاجتماعية والثقافية ، ونحن نسعى دائما الى توفير مزيد من المرافق التي تهيىء لإخواننا المسلمين مجتمعا روحيا يسوده التواد والتآخي والتعاون .

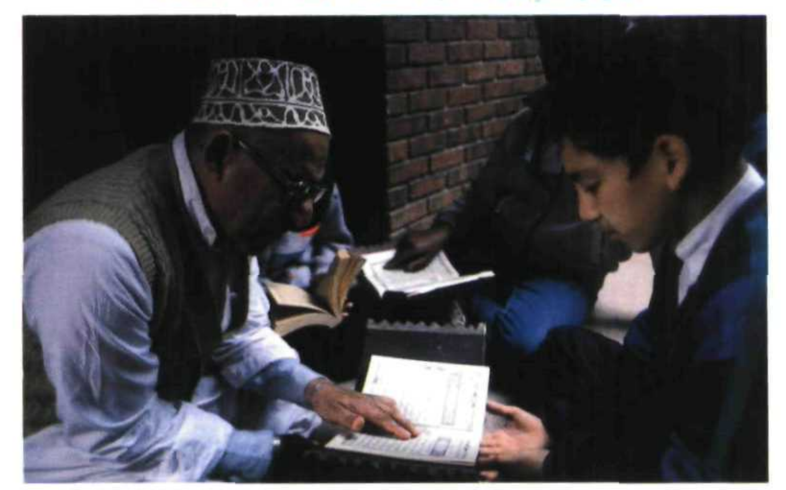
وبالاضافة الى هذا المركز هنالك سبعة مساجد أخرى منتشرة في كاردف ، وهي عبارة عن بيوت عادية ابتاعها المسلمون لتكون أماكن للعبادة . ويقوم المركز في كاردف بنشاطات متعددة تشمل محاضرات تلقى ثلاث مرات أسبوعيا حول الإسلام ، وعقد حلقة اسبوعية باللغة الانجليزية لمعتنقي الإسلام الجدد لتعريفهم بالإسلام ومناهجه وتعاليمه وأحكامه .



عدد من ابناء الجالية اليمنية في لقطة تذكارية مع كاتب السطور الثالث من اليسار) وإمام المسجد الشيخ محمد الشتيحي (الاول من اليمين) .

ويتبع المركز الإسلامي في كاردف مدرسةٌ من خمسة فصول تستقبل صغار الجالية الاسلامية من بنين وبنات في يومي السبت والأحد لمدة ساعتين يتلقون خلالها مبادىء القراءة والكتابة ، وغيرها . وللمركز مجلس أمناء يضم سفراء كل من المملكة العربية السعودية واليمن الشمالي ومصر والعراق وليبيا ، وهو على اتصال مع سائر المراكز الاسلامية للتدارس والتشاور والتنسيق حول القضايا والأمور التي تهم الاسلام والمسلمين .

وبعد لقد أتاحت لنا هذه الجولة الاستطلاعية الوقوف على تاريخ نشأة عدد من المساجد والمراكز الثقافية الاسلامية في المملكة المتحدة وطبيعة الأنشطة والمهام التي تقوم بها ، من أجل الحفاظ على هوية الانسان المسلم والذود عن وجه الاسلام المشرق . ومع ذلك ، فان هذه المراكز الاسلامية تبقى في حاجة ملحة الى المزيد من المساعدات والمعونات المالية التي تمكنها من النهوض برسالتها الماجدة على الوجه الأمثل ، وتيسر لها الاضطلاع بواجباتها الدينية والانسانية تجاه الاسلام والمسلمين على نحو أوسع وأشمل . ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾(٣) □



درس في تعليم قراءة القرآن المجيد لأبناء الجالية الاسلامية .

(٣) — سورة التوبة ، من الآية رقم / ١٠٥ .

أهداف مناهج الأدب العربي بين الواقع والمنشود

بقلم: د. عبدالعزيز سعد العبدالهادي/الدمام



الأدب العربي عالم رحب من التراث الفكري، مليء بمظاهر الجمال والروعة التي تؤنس الروح وتمتع العقل وترهف الحس وتصقل الوجدان. وكلما تنقل المرء بين الوانه الجميلة ونماذجه البديعة وأدرك أسرار الجمال والروعة فيها أحس برغبة جامحة في أن يستجلي منها مزيدا، فكأنما هو في حديقة غناء يقلب ناظريه بين الزهر والشجر فما يكاد يفتنه صوب منها حتى يجذبه صوب سواه.

وقد ارادت المدرسة ان يرود طلابها هذا العالم الآسر الجميل الواسع الرحيب فجعلت دراسة الأدب العربي ضمن مناهجها الدراسية، وهو بحق أدب جدير بالدراسة والعناية والتذوق اذ فيه من ألوان الجمال ونماذج الإبداع اللغوي والفني ما يجعله من أرقى الآداب العالمية وأسماها. وحين وضع القائمون على شؤون مناهج الأدب العربي أهدافا لها جعلوا التذوق الفني لهذا الأدب من أولوياتها ووضعوه موضع الصدارة بينها. ذلك بأن التذوق الفني ومعرفة مواطن الجمال في النصوص الأدبية التي تقدم للطالب من خلال منهجه الدراسي هو العامل الأساسي في احداث كثير من التفاعلات الداخلية بين وجدانه وبين ما يتلقاه من مادة أدبية قراءة او سماعا، تفاعلات تكون نتيجتها الاستحسان والرضا، بل والشغف والتعلق بهذا الأدب الراقي والحرص على الاستزادة من ينابيعه الصافية العذبة.

ولما كانت دراسة الادب تُعْنَى بتنمية الحس الجمالي والتذوق الفني للنصوص الادبية فإنه من البدهي ان تكون القدرة على تحليل تلك النصوص تحليلا أدبيا لمعرفة مواطن الجمال والابداع فيها من ضمن اهداف مناهج الادب العربي. وهذا الهدف فضلا عن اهميته، التي يكتسبها من طبيعته التي تفرض على دارس الأدب التأمل والتعمق فيما يقرأه، يخدم هدفا آخر لا يقل عنه أهمية ويرتبط به ارتباطا قويا ومباشرا، الا وهو النقد الأدبي الذي يتطلب إصدار الاحكام واتخاذ المواقف تجاه الاعمال الادبية وذلك على أسس فنية ومنهجية.

وأدبنا العربي، علاوة عما به من جمال فني ولغوي، هو سجل حافل بالأحداث والوقائع التاريخية التي عايشها المجتمع العربي في جاهليته واسلامه وفي باديته وحاضرته وفي ايام سعته ورخائه وشدته وضيقه. وهو ـ ايضا ـ سجل حافل يثبت في كثير من نصوصه النثرية والشعرية عادات العرب وتقاليدهم وقيمهم وطبائعهم واسلوب معيشتهم وانماط سلوكهم ومعاملاتهم وما جبلوا عليه من

صفات كالكرم والشجاعة والوفاء بالعهد . بل ان بعض تراثهم الادبي كان يكشف عما تكنه اعماق النفس العربية من أحاسيس ومشاعر ، وكان تعبيرهم عنها عميقا أشد العمق دقيقا كل الدقة بليغا غاية البلاغة . خذ على سبيل المثال قول الشاعر العربي الكبير البحتري وهو يصور ما يعتمل في نفس العربي حين يقاتل اخاه وابن قبيلته .. يقول :

تقتل من وتر اعز نفوسها
عليها بأيد ما تكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

هذا التصوير الرائع الجميل ـ وله في الشعر العربي أمثلة كثيرة ـ يصلح ان يكون مادة لتحليل الانسان العربي في ازمانه المختلفة تحليلا نفسيا دقيقا ، ربما لا يقل في دقته عما نحاول ان نكشفه اليوم عنه بوسائل بحثنا الحديثة .

فإذا كان أدبنا العربي زاخرا بكل هذه الحقائق المعرفية ، أليس من الحق والصواب ان يكون من ضمن أهداف تدريس الادب العربي الاطلاع ومعرفة الحياة العربية والانسان العربي في العصور التاريخية المختلفة ؟ لا أظن أن أحدا يختلف معي في هذا الشأن ، وحقيقة الأمر ان المعنيين بوضع مناهج الادب العربي في مدارسنا يعدون هذا الهدف من بين الاهداف الهامة . ثم أليست هذه الحقيقة الثابتة عن أدبنا العربي دلالة قوية على أهمية دراسته دراسة جادة هادفة عميقة لكشف مكنوناته وذخائره المعرفية ؟

هذه هي الأهداف الجوهرية لدراسة الأدب العربي والتي يسعى التعليم النظامي الى تحقيقها من خلال مناهجه الدراسية ومن خلال الجهود التي يبذلها مدرسو الأدب العربي فيه ، ولنا أن نتساءل بعد طرحنا لها : الى أي قدر استطاع تعليمنا النظامي ان يحقق تلك الاهداف وهل هو بالقدر الكافي الذي ترضى عنه الجهات المسؤولة عن التعليم وخاصة من يتصلون بتلك المناهج صلة مباشرة وهم الذين وضعوا ـ عن دراية وفهم ـ اهدافها والطموحات التي يتوخون تحقيقها ؟

أكبر الظن ان الأهداف الجوهرية لمناهج الأدب العربي لم تتحقق بالقدر الذي تؤمله الجهات المسؤولة عن التعليم ومناهجه ، ولهذا الظن ما يؤيده من الدلالات التي نشاهدها ونعايشها يوما بعد يوم . فالثقافة العامة عن الأدب العربي ورجالاته لدى كثير ممن اكملوا تعليمهم الثانوي ما تزال متواضعة غاية التواضع ان لم نقل هزيلة أشدّ الهزال . تكشف عن هذه الحالة مواقف متعددة منها المقابلات الشخصية التي تجرى لخريجي الثانوية العامة حين يتقدمون للدراسة الجامعية باحدى الكليات . ولعله من الطريف ان اذكر هنا أن أحد المتقدمين لإحدى الكليات سئل اثناء مقابلته الشخصية ان يذكر اسم أحد شعراء المهجر الامريكي فما كان منه الا ان أجاب بأنه النابغة الذبياني . كما تكشف عن ذلك الضعف الثقافي بالأدب العربي وأعلامه المسابقات التي نشاهدها على أجهزة التلفاز والتي تتناول بعض اسئلتها جوانب ثقافية مختلفة ومن ضمنها ما يتعلق بالأدب والأدباء والشعر والشعراء .

ودلالة أخرى تؤكد عدم تحقيق أهداف مناهج الأدب العربي على النحو المنشود من قبل مصنفي المناهج ومعدّيها ، الا وهي قلة الإقبال على مواصلة دراسة الأدب العربي في المرحلة الجامعية وما يليها من الدراسات العليا ونلمس هذا العزوف في ندرة مدرسي اللغة العربية في مراحل التعليم العام والحاجة الماسة اليهم والتي تتزايد يوما بعد يوم . هذا العزوف الواضح عن دراسة الادب العربي لا يمكن ان يتغلغل في نفوس دارسيه لو استطاعت هذه المناهج واستطاع مدرسوها ان ينفذوا الى وجدانهم وان يحدثوا فيها شعورا بالإعجاب والرضا والاستحسان للأدب العربي ورغبة الاستزادة من مناهله .

ودلالة أخرى تعزز ما ذهبنا اليه وهي صدود كثير من الشباب عن شراء وقراءة كتب الأدب العربي وانصرافهم عنها انصرافا يدعو الى الذهول والتساؤل . ذلك بأنه لو تحققت الأهداف المنشودة من دراسة الأدب العربي على المستوى الذي ينسجم وطموحات واضعي مناهجه لأوجدت في نفوس كثير من الطلبة رغبة المتابعة والاستزادة والتي لا يحققها الا الإقبال على شراء كتب الادب العربي وقراءتها .

إذا كان في هذه الدلالات ما يكفي لاقناعنا بأن مناهج الادب العربي لم تتمكن من تحقيق أهدافها وطموحاتها بالقدر الذي ينبغي لها فان السؤال الذي يطرح نفسه بقوة وإلحاح هو : ما هي الأسباب والعوائق التي أدت الى ذلك؟ وهل هناك ثمة علاج يؤدي الى زوالها؟

من بين تلك الأسباب ، ولربما يكون من أقواها ، النظرة المغالى فيها الى الاختبارات ومسألة النجاح فيها واعتبار ذلك الغاية الحقيقية والوحيدة من كل نشاط تعليمي يمارس داخل المدرسة ومن بينها النشاط الدراسي . نعم ، تلك النظرة التي استحوذت على اهتمام وجهود الكثير من القائمين على التعليم ، اذ ان هذه النظرة شاملة ومهيمنة على النشاط الدراسي الذي يقوم به المدرسون لجميع المقررات الدراسية وليست مقررات الأدب العربي استثناء منها . ولست بهذا الزعم أقف موقف الضد من الاختبارات او أقلل من شأنها ، ولكني أرى أنه ينبغي أن نفرق بين أمرين هامين يخلط كثير من المشتغلين في سلك التعليم بينهما فضلا عن عامة الناس . الأول تحقيق أهداف المناهج الدراسية وهو المحور الأساسي الذي تدور حوله معظم أنشطة التربية والتعليم ويلعب المدرس فيه دورا جوهريا من خلال تدريسه . أما الثاني فهو وسيلة الكشف عن مدى تحقيق أهداف المنهج وغالبا ما تكون هذه هي وسيلة الاختبارات على انواعها المختلفة . من هذا يتضح ان الدور الوظيفي للاختبارات في عملية التربية والتعليم ما هو إلا دور التابع لجوهر هذه العملية وهو تحقيق اهداف المنهج ، اذ ان تحقيقها هو الغاية المنشودة منها بدءا وانتهاء . وليس هناك من تربوي واع يقبل ان يخلط بين الأمرين او أن يختزل دور التربية والتعليم في مجرد تحقيق النجاح في الاختبارات جاعلا ذلك غايتها وهدفها الاسمى ومتناسيا بذلك أهداف المنهج الحقيقي والسعي الى تحقيقها . غير ان الذي يمارس في مدارسنا اغلب الاحيان هو هذا الخلط بين أهداف المناهج ووسائل الكشف عن تحقيقها بحيث تصبح تلك الوسائل هي الأهداف بحد ذاتها .

إن أهداف مناهج الأدب العربي موجهة توجيها مباشرا الى متلقّي النص الأدبي لكي يتفاعل معها تفاعلا وجدانيا يؤثر على سلوكه وموقفه تجاه الأدب العربي بحيث تكون محصلة ذلك كله حبًّا للأدب ورغبة في الاستزادة منه والنهل من مناهله . وما الاختبارات التي تُعطَى بين حين وآخر اثناء الفصل الدراسي أو في نهايته الا وسيلة للكشف عن مدى تحقيق كل ذلك وانها ليست الاهداف بعينها .

هي كذلك ، الا أن السواد الأعظم من مدرِّسي مناهج الأدب العربي يقدمون ما يقدمون لطلابهم وهم يضعون نصب أعينهم الاختبارات ، والاختبارات النهائية بوجه خاص . وهم يجهدون أنفسهم أشد الجهد ويخلصون لطلابهم أصدق الإخلاص حين يختلفون اليهم في قاعات الدرس ولكنهم يريدون لهم من وراء ذلك ان يحققوا تفوقا اختباريا لا تذوقا أدبيا ، والفارق بين الغايتين عظيم . يقدم المدرس لطلابه نصا أدبيا رائعا لعبد الحميد الكاتب او الشريف الرضي أو الزيات او البارودي أو غيرهم من أعلام الشعر والأدب ويكشف لهم عما فيه من سحر البيان وإشراقه الفكري ، لا ليتذوقوه ويستحسنوه فيطمعوا في مزيد من طارف الأدب وتليده ، ليقرأوه ويدرسوه .. لا الى ذلك يسعى المدرس حين يقدم لطلابه تلك النصوص الادبية بصدق واخلاص وانما هو يفعل ذلك حتى يحسنوا الإجابة عن أسئلة الاختبارات فينالوا بها أوفر الدرجات .

من هذا المنظور المشوَّه لدراسة الأدب العربي وتدريسه ندرك ان هناك افتقارا الى شيء من الانسجام بين اهداف المنهج الاساسية وبين اهداف المدرس الحقيقية . هذا التباين له آثاره السلبية على بناء العلاقة الوجدانية الحميمة بين الادب ومتلقي الادب ونعني به الطالب في هذه الحالة . فالمدرس حين يحرص على كشف أسرار الجمال في النص الأدبي لطلابه يكون ذلك لمجرد ان يبثها عبارات جامدة على ورقة الاختبار ويوحي لهم بذلك في ثنايا شرحه ومناقشته فان طلابه لا بد ان يحققوا نبوءته في ذلك وتبقى علاقتهم بالنص الأدبي علاقة مصلحة اختبارية تنتهي بمجرد انتهاء الاختبار . وهنا يغيب أثر التفاعل الوجداني بين الطلاب والنصوص الادبية المتلقاة ، ذلك التفاعل الذي تظل فاعليته قوية نابضة تحركهم وتدفعهم لتلقي المزيد

واستكشاف اسرار جمالية جديدة . مثل ذلك التفاعل الوجداني ، والذي هو من أهم اهداف المنهج ، يمكن ان يحدثه المدرس في نفوس طلابه اذا هو ذاته آمن بأهمية هذا الهدف وتولدت لديه القناعة القوية بأنه هو الهدف الذي يجب ان يسعى الى تحقيقه وسعى اليه بحق واشاع بين طلابه ضرورة تحقيقه .. حين يفعل المدرس ذلك ستتحقق العلاقة الوجدانية المنشودة في نفوس اولئك الطلاب لأن تحقيقها يأتي ـ ايضا ـ تحقيقا لحدس استاذهم فيهم كما يقول علماء التربية .

وهناك سبب آخر أدى الى أو ساعد على عدم تمكين مناهج الأدب العربي من تحقيق اهدافها وهذا السبب هو عدم الإلمام المتقن ببعض عناصر ومقومات دراسة الأدب العربي عند كثير من الطلبة . تلك المقومات ـ في نظري ـ تشمل الالمام بحصيلة جيدة من مفردات اللغة تعين على فهم النصوص الأدبية وما يرد فيها من غريب اللغة وغير مألوفه . كما تشمل ـ ايضا ـ معرفة استخدام معاجم اللغة وقواميسها ، فالحقيقة التي يؤسف لها ان الأغلبية من طلابنا الذين ادركوا تعليمهم الثانوي لا يعرفون كيفية استخدام تلك المعاجم والقواميس للكشف عن معاني الألفاظ لأنهم لا يعرفون الأسس التي عليها صنفت مفردات اللغة فيها ولم يلقوا التشجيع والحث من مدرسيهم على استخدامها . ومن بين المقومات اللازمة لدراسة الأدب ـ كذلك ـ الإلمام بقواعد اللغة العربية نحوا وصرفا اذ ان كثيرا من ملامح الجمال والابداع في النص الادبي تكون مستمدة من أصول نحوية وصرفية ، فاذا افتقر دارس الادب الى تلك الاصول فلا بد ان يستعصي عليه استجلاء ملامح الجمال فيه مما يفقده بذلك لذة التذوق والاستمتاع . كما ان الإلمام بعلوم البلاغة من بيان ومعان وبديع له دوره الذي لا يقل عن دور الالمام بقواعد اللغة ، فاذا أعوز الطالب الالمام بتلك العلوم لم يستطع ان يكشف عن مكامن الابداع ويظفر بمتعة القراءة للنص الادبي الذي هو بصدده . واكبر الظن ان كثيرا من طلابنا يصلون الى مرحلة دراسة الادب العربي وتحليل نصوصه تحليلا ادبيا وهم لا يملكون من هذه المقومات الا النزر اليسير مما يحول بينهم وبين إدراك جماله اللغوي والبلاغي والذي يعد المعبر الأمثل نحو تكوين علاقة وجدانية بين الطالب والأدب .

كما أن من الأسباب التي يمكن ان تضاف الى أسباب ومعوقات تحقيق اهداف الأدب العربي ما ذاع في الأوساط الطلابية من نظرة علوية الى العلوم التجريبية ، ونظرة دونية الى العلوم الانسانية والادبية . لقد شاع بين كثير من الطلاب في مدارسنا ـ وخاصة الثانوية منها ـ ان دراسة العلوم التجريبية هي للنابغين والنابهين منهم وان دراسة العلوم الانسانية والادبية هي لمن هم دون ذلك . هذا التصور الذي يركب فيه معتقدوه متن الشطط ـ دون ريب ـ قد حمل كثيرا ممن لهم ميول أدبية وشغف بالأدب الى التوجه لدراسة العلوم التجريبية وأورث في نفوس الذين اتجهوا الى دراسة العلوم الأدبية موقفا يتسم بالخجل والانكسار . بهذه النظرة الدونية الى العلوم الأدبية وبهذه الروح الكسيرة او النافرة من دراسة الأدب العربي ، كيف يمكن ان يحدث ذلك التفاعل الايجابي بين طلابنا وبين ما يتلقونه من أدب وكيف يقبلون على دراسته دراسة الراغب في معرفة أسرار الجمال فيه لتنشأ عن ذلك علاقة وجدانية تشدهم الى المتابعة وطلب المزيد؟ ذلك مطلب شائك مُتَعَذَّر ما لم تتغير تلك النظرة الخاطئة العقيمة .

هـذه الأسباب ، التي سردناها وأطلنا الحديث عنها ، ما لم تعالج معالجة جادة صريحة فلن تؤتي دراسة الأدب العربي ثمارها المرجوة منها ولن تتحقق أهداف مناهجها على النحو الذي يؤمله المؤملون من مؤلفين ومسؤولين عن شؤون المناهج بمؤسسات التعليم المختلفة .

وأرى ان حجر الزاوية في أي مشروع إصلاحي لدراسة الأدب العربي وتدريسه هو مدرس الأدب العربي نفسه . هو الذي يجب ان تنصب عليه جهود الإصلاح والتطوير لأنه يمثل العامل الانساني بين العوامل الأخرى اللازمة لعملية التعلم والتي تشمل وسائل التعلم ومن بينها المنهج المدرسي كما تشمل الامكانات المادية والظروف المحيطية وغيرها . وهذا العامل الانساني ممثلا بالمدرس يشكل أهم عامل في هذه العملية لأن الهدف

الأسمى الذي نحن ـ بحق ـ بحاجة الى تحقيقه ولم نحققه بعد على النحو المطلوب هو تكوين علاقة ذات طبيعة انسانية محضة. من هذا المنطلق الواضح القويم تظهر أهمية المدرس وبالتالي أهمية اعداده الإعداد الصحيح لتحقيق تلك العلاقة.

نحن بحاجة الى مدرسين يحملون تصورا سليما واضحا لأهداف تدريس مناهج الأدب العربي وقناعة راسخة بتلك الأهداف ورغبة أكيدة في تحقيقها مع دراية علمية تربوية بكيفية تحقيقها. هذه الأمور جميعها مسؤولة عنها كليات التربية التي تُعِدُّ مدرِّسين للأدب العربي وغيره من التخصصات التي تتعلق بمناهج التعليم العام.

فهذه الهالة الكبيرة المضخمة للاختبارات ينبغي ان تقشع من اذهان دارسي الأدب العربي بكليات التربية تعليما وممارسة. وينبغي ان يعلم أولئك المدرسون بأن الاختبارات وسيلة قياس يراد بها الكشف عن مدى تحقيق الأهداف الحقيقية للمنهج الدراسي وانها ليست الهدف الحقيقي للمنهج. هذا من جانب التعلم، واما من جانب الممارسة فيجب ان يكون تدريس الأدب لأجل تذوقه واستحسانه واكتساب الخبرة لكشف ما فيه من رونق وبهاء، وكذلك القدرة على تحليله ونقده نقدا أدبيا إضافة الى معرفة الحياة العربية والانسان العربي. أي اننا لا نريد لدارسي الأدب ان يعلموا كيف يدرسون الأدب العربي على نحو صحيح وفي الوقت نفسه يمارس معهم اسلوب تدريسي خاطىء يركز فيه على الاختبارات اولا واخيرا، فنحن بصنعنا هذا اشبه بمن ينهى عن خلق ويأتي مثله، كما يقول شاعر عربي قديم، لم يجاوز الصواب حين ألصق العار العظيم بمن يفعل ذلك.

وإذا كانت الثروة اللغوية واتقان قواعد اللغة من نحو وصرف ومعرفة بعلوم البلاغة من المقومات الأساسية لدراسة الأدب العربي وهي تشكل في وضعنا الراهن سببا من أسباب عدم تحقيق أهداف مناهجه وعائقا حائلا دون بلوغها فاعتقد أن من أوجب واجبات مدرسي اللغة العربية بمختلف المراحل أن يولوا هذه المقومات الأساسية أهمية بالغة خاصة المراحل الأولى لأنها تشكل القاعدة التي يقوم البناء اللغوي والبلاغي عليها، فاذا كانت هذه القاعدة مضعضعة من أساسها تداعى كل بناء يقوم عليها بعد ذلك. ولا شك بأن معرفة استخدام القواميس والمعاجم اللغوية معها على نطاق واسع من أهم اسباب إثراء المخزون اللغوي عند دارسي الأدب الى جانب فهم الدلالات المعنوية الدقيقة للألفاظ واشتقاقاتها الصرفية، وكل ذلك مما يخدم دراسة الأدب ويعين على فهم نصوصه وتقويمها تقويما أدبيا مُنصِفاً يكشف عن نقاط القوة والجمال فيها كما يكشف عن نقاط الضعف والدمامة في معانيها وصورها.

وأخيرا فان ذلك التصور الكاذب عن عبقرية دارسي العلوم التجريبية وقصور فكر دارسي الأدب، والذي يشكل عائقا في سبيل دراسة الأدب العربي بروح مشرقة عزيزة متفائلة تنمّي في الوجدان حبه والعكوف على دراسته، يجب ان يُزال من الأذهان ويُمحى من الافهام. وان تحقيق ذلك هو مسؤولية التعليم بمناهجه ومدرِّسيه وموجِّهيه وقياديِّيه. وهي ـ ايضا ـ مسؤولية الآباء والأمهات ممن نالوا حظا من العلم والوعي الثقافي والتربوي. وهي ـ كذلك ـ مسؤولية وسائل الاعلام بأنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية. كل هؤلاء مطالبون بوضع الصورة الحقيقية أمام أعين الدارسين من طلاب العلم. تلك الصورة التي تؤكد على أن الذكاء يتجلى في أنماط مختلفة وان هناك ذكيا يمتلك قدرات لغوية. كما أن هناك ـ ايضا ـ ذكيا يمتلك قدرات عددية وان هناك آخرين يمتلكون قدرات أخرى ذات سمات مختلفة. هذه الصورة الحقيقية عن الذكاء هي ما تؤيدها الدراسات النفسية والتربوية القائمة على التجربة الميدانية الواسعة.

حين تعالج هذه الأسباب معالجة جادة صادقة وحين تُزال كل معوِّقات دراسة وتدريس الأدب العربي، فإن أهداف مناهجه ستجد طريقها الى الانجاز والتحقيق على النحو الذي يرتضيه مصنفو هذه المناهج وعلى النحو الذي تطمح اليه الجهات المسؤولة عن التربية والتعليم.. والله ولي التوفيق □

المريخ كوكب الأساطير والحكايات

بقلم: المهندس محمد عبد القادر الفقي / الكويت

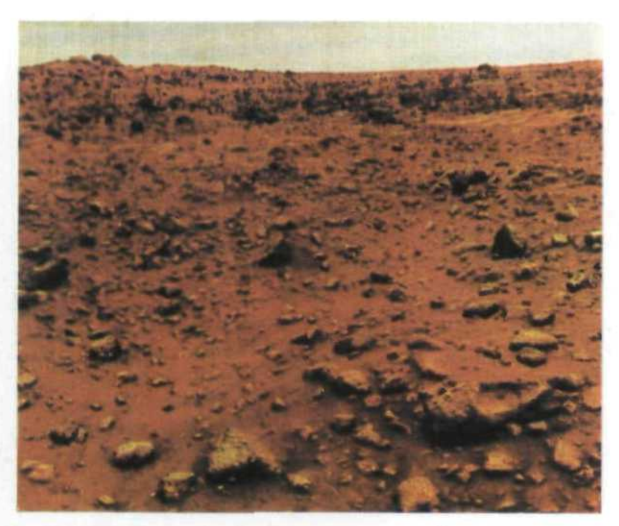
إذا ذكرنا المريخ تذكرنا على الفور ذلك الكوكب الأحمر الشهير.. الكوكب الذي نسج الأقدمون حوله قصصاً وأساطير وحكايات، وأشاع عنه المحدثون تُرّهات وخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان. فزعموا أن به ماءً يجري، وشعباً يبني، ومحاصيل تزرع، وأهراماً ترتفع. والقدماء والمعاصرون في هذا معذورون، فطلاسم هذا الكوكب كثيرة، وحقائقه مثيرة.

تألقه وحمرته .. سببا شهرته

لقد داعب المريخ خيال الأدباء قبل العلماء ، والفلاسفة قبل الفلكيين . وشغل هذا الكوكب الأحمر أذهان العامة والخاصة في انحاء المعمورة كافة منذ زمن بعيد . ولا غرابة في ذلك ، فهو الكوكب اللامع الساطع الذي يمكن للانسان العادي أن يراه بالعين المجردة ، فضلا عن كونه « جارنا الأيمن » ، وذلك اذا اتخذنا الشمس دليلا لتحديد مواقع جيران أرضنا التي استخلفنا الله فيها .

لقد كان من الطبيعي ان يتجه الانسان ببصره صوب المريخ ، محاولا استكناه اسراره ، ومعرفة ما اذا كانت ثمة حياة على سطحه . لقد شاهد الانسان سطح المريخ يتغير بتغير الفصول ، فاعتقد ان هناك حياة عاقلة ، وان هناك كائنات تزرع الخضروات . وبذلك ، فتح الباب على مصراعيه امام كتاب قصص الخيال العلمي ، وظهرت أساطير كثيرة عن وجود مخلوقات اكثر تطورا وأرقى مدنية تعيش على المريخ .

وفي الحقيقة ، ان فكرة البحث عن الحياة على الكوكب الأحمر تعود الى عهد موغل في القدم . وكان لتألق هذا الكوكب خلال فترات معينة من السنة ، وحمرة سطحه ، نصيب كبير في إلهاب خيال الشعراء وناسجي الأساطير والمنجمين ، فانطلقوا يختلقون القصص ، ويلفقون الروايات ، ويصوغون الخزعبلات عن المخلوقات التي تقطن المريخ . وكان اول من لفت الانتباه الى ذلك بطريقة جلية المفكر الروماني « لوكريتيوس ـ Lucretius » ، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ، وذلك في قصيدته المشهورة : (في طبيعة الاشياء) حيث قال في هذه القصيدة : « من العسير ان نزعم أن أرضنا وسماءنا هما الوحيدان في الكون الحافلان بالمخلوقات (وهو يعني بالسماء : الغلاف الجوي للأرض الذي تطير فيه الطيور) ، اذ يجب الافتراض بوجود عوالم اخرى تعج بأنواع الانسان والحيوان » . ونظرا لقرب جارنا المريخ ، فقد اتجهت اليه انظار الباحثين عن حياة اخرى في هذا الوجود .



تحفل تربة المريخ بأكاسيد الحديد ، ولذلك تبدو حمراء في الصور التي التقطتها سفن الفضاء .

خيال كاتب يسبق ما تثبته التجارب

على مر التاريخ ، كان الخيال الأدبي عادة يسبق العلم في تفسير اسرار الكون ، ومحاولة التعرف الى ما في الوجود من موجودات . وليس هذا بغريب ، فخيال الأديب ليس له حدود ، اما تجارب العلماء فهي محدودة بقيود الزمان والمكان والأجهزة والمواد والعقل ! لكن الغريب حقا ، ان تكون للأدباء شطحات في عالم الخيال ، ويثبت العلماء صحتها وصدقها ودقتها بعد حين .

ان هذه المقولة تنطبق على أدباء كثيرين امثال « جول فيرن » و « ويلز » رائدي قصص الخيال العلمي ، لكنها تنطبق بشدة على « جوناثان سويفت » مبتدع « رحلات جيلفر » الشهيرة .

لقد كتب سويفت في عام ١٧٢٦م قصته الشهيرة « رحلات لوميـيل جليفر في بعض اجزاء العالم البعيدة ، كطبيب جراح في البداية ، ثم كربان لعدة سفن » . وكان هدف « سويفت » من وراء كتابة قصته

هذه : السخرية والاستهزاء من رجال الجمعية الملكية البريطانية ، الذين ـ حسب اعتقاد سويفت ـ كانوا يدعون العلم والمعرفة . ولهذا السبب ، جعل سويفت بطل روايته : جليفر يقوم في رحلته الخيالية بزيارة لأكاديمية العلوم في مملكة الأقزام ، ليجد ان الفلسفة القائمة على الايمان بالطبيعة مزدهرة في تلك البلاد ، وانهم يعكفون على وضع طريقة هناك للحصول على اشعة الشمس من القثاء ، وايجاد وسيلة لانتاج البارود من الجليد .

ويبدو ان هذه الفكرة راقت لسويفت ، فانطلق خياله الى عالم المريخ ، وكتب : « وعدا ذلك ، فان الأقزام اكتشفوا هناك قمرين صغيرين يدوران حول المريخ . وأقرب هذين القمرين اليه يبعد من مركز هذا الكوكب مسافة تعادل ثلاثة أضعاف قطره . اما القمر الآخر ، فيبعد مسافة اكبر من قطره بخمس مرات . ويقوم القمر الأول بدورة كاملة حول المريخ خلال عشر ساعات ، بينما يكمل القمر الثاني دورته في احدى وعشرين ساعة ونصف . وهكذا ، فان مربع زمن دورانهما يتعادل طرديا تقريبا مع مكعب المسافة التي تفصلهما عن مركز الكوكب » .

ولا يعرف أحد كيف علم « سويفت » بأمر قمري المريخ . ولم يكن قد تمكن احد في عصر هذا الكاتب من رؤية هذين التابعين حتى بالمنظار المقرب « التلسكوب » .

ولم تحظ عبارة « سويفت » السابقة باهتمام احد من العلماء . فمن يهتم بالبحث عن حقيقة علمية في رواية أدبية أو قصيدة شعرية؟ ومضى ربع قرن على ما قاله (سويفت) ، وقمرا المريخ لم يطلع عليهما بعد احد . بيد ان الكاتب والفيلسوف الفرنسي الشهير : فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨ م) تكلم عنهما في روايته الخيالية : « ميكرو ميغاس » عام ١٧٥٢ م . ولم يذكر هذا العلامة أي شيء عن هذين القمرين باستثناء دليل للبرهنة على وجودهما . وهذا الدليل هو ان قمرا واحدا لا يُعَدُّ كافيا لاضاءة ليالي مثل هذا الكوكب البعيد عن الشمس .

وراء اكتشاف قمري المريخ امرأة

بعد مضي اكثر من مئة وخمسين عاما على تأليف رواية « رحلات جليفر » ، وبالتحديد في سنة ١٨٧٧ م ، تحقق العلم من صدق ما ذهب اليه خيال « سويفت » ، وما أورده « فولتير » بشأن قمري المريخ . وقد تم ذلك على يدي فلكي امريكي هو « آساف هول ـ A. Hall » (١٨٢٨ ـ ١٩٠٧ م) . ولم يجيء اكتشاف القمرين عرضيا ، بل جاء بعد بحث طويل عنهما ، وربما كان الدافع وراء ذلك ما رواه « سويفت » عنهما . ويذكر مؤرخو هذا الاكتشاف ان « هول » أمضى وقتا طويلا يبحث عنهما ، لكن جهوده كانت تذهب أدراج الرياح . ويقال انه حدَّث زوجته مرة عن اخفاقه ، فنصحته قائلة : « ما دمت لا يمكنك رؤية القمرين بعيدا عن المريخ ، فلماذا لا تجرب البحث عنهما على مقربة منه؟ » وكانت لفتة طيبة من امرأة عالم عظيم . وبالفعل ، في ليلة العاشر من اغسطس ١٨٧٧ م ، وجه « هول » عدسة المرقاب على جزء بسيط من المريخ ، فاكتشف القمر الاول . وفي ليلة السابع عشر من الشهر نفسه ، اكتشف القمر الثاني ايضا على جزء آخر من الكوكب الاحمر . وأطلق « هول » على الاول اسما اغريقيا هو « فوبوس » أي الخوف ، وعلى الثاني اسما اغريقيا هو « ديموس » أي الرعب . وأحدث هذان الاكتشافان ضجة أقامت الدنيا وأقعدتها ، خاصة في المجتمعات العلمية . ولم تكن الضجة مصدرها كون امرأة وراء ذلك ، فلا غرابة في هذا اذا كان « وراء كل عظيم امرأة » ، سواء أكان هذا العظيم رجلا أو اختراعا أو اكتشافا عظيما كاكتشاف الخوف أو الرعب! . ولكن مصدر الضجة هو كيف اطلع (سويفت) على اسرار هذين القمرين بالدقة التي وصفهما بها . هل علم هذا الكاتب بوجودهما بمحض الصدفة؟ أو انه توصل بطريق المنطق الى فكرة دورانهما على مقربة من كوكب المريخ؟ والأغرب من ذلك هو كيف عرف (سويفت) ان القمر الاول يبعد عن المريخ بمسافة تعادل ثلاثة أضعاف قطره (المسافة الحقيقية اكبر من نصف قطر



قنوات المريخ .. تدل على ان مناخ الكوكب كان يوما ما دافئا الى الحد الذي يسمح بوجود الماء السائل .

الكوكب بـ ٢,٧٥ مرة) وان القمر الثاني يبعد بمسافة اكبر من قطره خمس مرات (المسافة الحقيقية ٦,٩ مرة ضعف نصف قطر الكوكب) .

لقد وضعت افتراضات عديدة حول تأملات « سويفت » ، يضيق بنا المقام عن ذكرها ، لكن جميع هذه الافتراضات تثبت لنا ان خيال الكاتب قد يسبق ما تصل اليه القياسات والتجارب !

قنوات وبحـــار على المريخ

جذب اكتشاف قمري المريخ في عام ١٨٧٧ م اهتمام العلماء وعامة الناس ايضا ، خاصة في اوربا وامريكا . وفي ذلك العام اكتشف الايطالي « جيوفاني أخياباريللي ـ G. Achiaparelli » وجود قنوات وبحار على سـطح الكوكب الأحمــر . ومن حســن حظ (هول) و « أخياباريللي » ان عـام ١٨٧٧ م كان عام التقـابل العظيم الذي تتضاءل فيه المسافة بين المريخ والأرض الى حدها الأدنى . وأتاح هذا التقابل فرصة طيبة لاكتشافات هذين العالمين بأجهزتهما المتواضعة آنذاك .

وقد أثار اكتشاف قنوات المريخ ضجة كبيرة بين علماء الفلك . وانطلق الفلكيون في جميع مراصد العالم تقريبا يدرسون المريخ . وتم اكتشاف عدد كبير من البحار والقنوات على سطح الكوكب الاحمر . وعلى هذا الاساس بات الخاصة والعامة ينظرون الى المريخ على انه (شبيه الأرض) أو (قرينها) . وفهم الناس ان قنوات المريخ ـ والتي ثبت بعد ذلك انها وهم بصري ـ هي قنوات للزراعة ، وبالتالي ، لا بد من وجود حضارة بالمريخ . وراجت فكرة وجود اناس بذلك الكوكب ، حتى أن أكاديمية العلوم الفرنسية اعلنت في عام ١٩٠٠ م عن جائزة مقدارها مئة ألف فرنك لأي انسان يتمكن من الاتصال بعالم غير عالم الأرض . كما ان العالم « ميرفي » كتب في مستهل القرن الميلادي الحالي : « انني على يقين تام ان القنوات التي على سطح المريخ لا بد ان تكون من صنع كائنات حية ، سواء أكانت هذه الكائنات مقيمة هناك بصورة مباشرة ام غير مباشرة . وبالاضافة الى ذلك ، فان شبكة الطرق التي تغطي سطح الكوكب بأكمله ـ بموجب خطة منسقة وموحدة ـ تدل على ان هذه الكائنات قد بلغت مستوى عاليا من الذكاء » .

بحثاً عن مكالمة لاسلكية من سكان المريخ

انتشرت الأساطير في العقود الأولى من هذا القرن حول سكان المريخ . وللأسف ، شاعت الأساطير بين العلماء ايضا . أليس العالم بشرا له احلامه وله خيالاته ؟

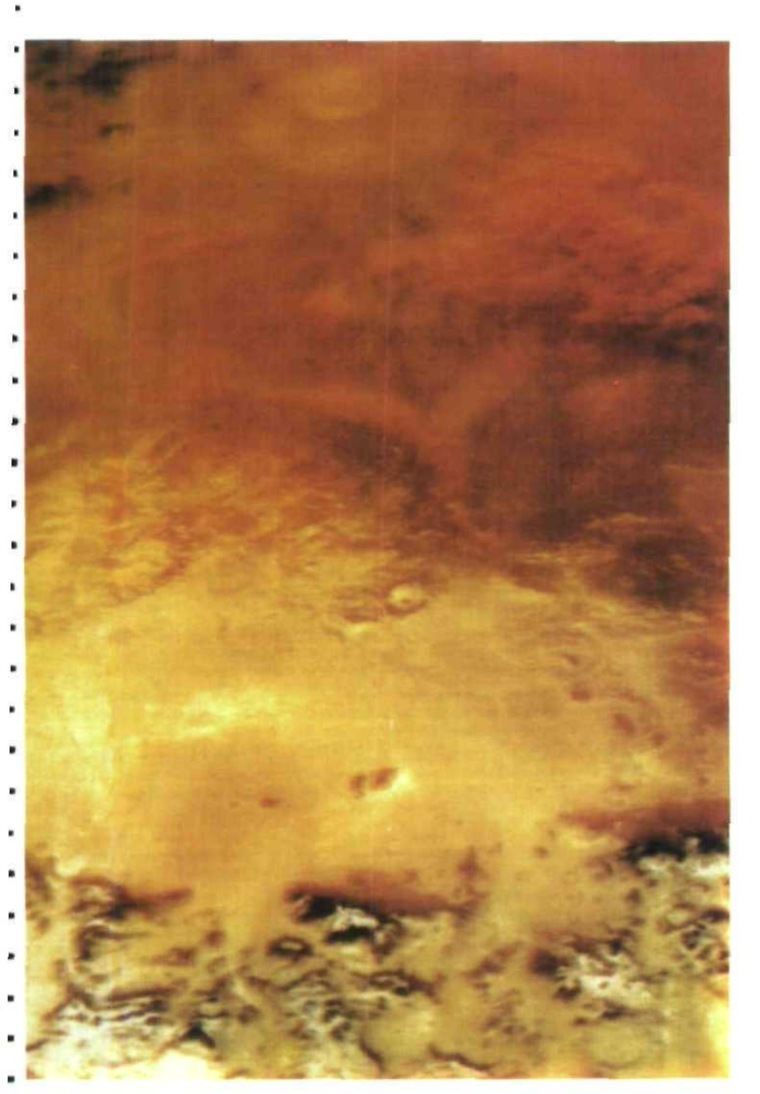
في شهر اغسطس ١٩٢٤ م ، حدث تقابل عظيم بين المريخ والأرض ، حيث اقترب الأول بشكل غير عادي من الثاني . وقد حفز ذلك عالم الفضاء الامريكي « ديفيد تود ـ David Tod » على شن حملة اعلامية واسعة النطاق لاقناع كل محطات الاذاعة على الارض بالتوقف عن البث لمدة خمس دقائق على فترات متقطعة . وكان هدف هذا العالم ـ من وراء ذلك العمل ـ هو التمكن من التقاط مكالمة لاسلكية ربما يكون سكان المريخ قد بثوها الى سكان الأرض بمناسبة التقابل العظيم !

وعلى الرغم من ان قلة من محطات الاذاعة التجارية وافقت على مناشدات « تود » ، الا ان المؤسسة العسكرية الامريكية نفذتها ، وأصدرت الأوامر الى كل أجهزة الرصد بالاستنفار .

وفي لجة الاستثارة العالمية التي أفرزها هذا الحدث ، كان من المحتم التقاط بعض الاشارات . وهذا ما حدث في الواقع . فقد أثارت محطة اذاعة في فانكوفر (كولومبيا البريطانية) موجة من اللغط والتكهنات حين اعلنت انها تلقت ـ ليس فقط بعض الاشارات ، بل ـ سلسلة من عمليات البث التي لا تفسير لها . وبعد أسابيع ، تبينت الحقيقة ، حيث اتضح ان سلسلة الرموز اللاسلكية التي التقطتها هذه المحطة جاءت من محطة أخرى تقع على الجانب الاخر لحدود كولومبيا البريطانية .

هيّا إلى المريخ

وصل الهَوَس بالمريخ حدا فاق الوصف ، رغم الفشل الذريع الذي منيت به محاولة « ديفيد تود » لاستقبال مكالمة لاسلكية من سكان هذا الكوكب



عواصف ترابية تهب على سطح المريخ حيث تغطي في بعض الأحيان أجزاء كبيرة من الكوكب .

الخياليين . ففي الثلاثينات من القرن الحالي أطلق العالم الروسي « ف. تساندر » عبارته المشهورة : (هيا الى المريخ) . وقد انكب هذا العالم في عمل دؤوب من أجل ان يقرب اليوم المنشود ، يوم انطلاق اول رحلة فضائية الى المريخ . وألقيت في جامعة موسكو عدة محاضرات حول الحياة على سطح هذا الكوكب حضرها جمع غفير من الجماهير ، بحيث تعين استدعاء شرطة الخيالة تحسبا للطوارىء . وكان المهندس « كوروليوف » يلقي محاضرات عن رحلات الانسان المقبلة على متن الصواريخ . ومع ان حديث هذا المهندس كان يدور اساسا حول كيفية اختراق طبقة الستراتوسفير ـ إحدى طبقات الغلاف الجوي للأرض ـ الا ان أسئلة الحضور كانت تتناول موضوع السفر الى المريخ . وكان كوروليوف يرد على هذه الاسئلة بتندر : « في الوقت المناسب سنصل الى المريخ ايضا » . ومن الصدف العجيبة

ان يتم تصميم اول مركبة فضائية انطلقت نحو الكوكب الاحمر في مكتب التصميم الهندسي الذي كان يترأسه كوروليوف . والأكثر من ذلك ، كلف هذا المهندس مجموعة من موظفيه بوضع « التقديرات » بشأن الرحلة الى المريخ وذلك اثر اطلاق اول مركبة فضائية حملت اول انسان الى الفضاء الكوني .

وفي الستينات من هذا القرن ، نظم الدكتور « ستروجولد » عدة حلقات دولية دراسية عن الملاحة الفضائية ، ذهب فيها الى احتمال الحياة على المريخ ، وان البحث عن ذلك عمل ينبغي القيام به . وقد اطلق السوفييت والامريكان عدة سفن فضائية الى هذا الكوكب الأحمر ، من بينها (مارس ١ و٢ و٣) و « مارينر ٤ و٦ و٩ » و « فايكنج ١ و٢ » اعتبارا من عام ١٩٦٣ م . وقد اثبتت الرحلات الفضائية انه ليس ثمة اثر للحياة على سطح هذا الكوكب ، لكن ذلك لم يكن كافيا لاغلاق باب الخيال العلمي ، خاصة وانه من المرجح وجود ماء في صورة غازية (بخار) أو صلبة (ثلج) بهذا الكوكب . ويبدو ان المريخ مر بمرحلة من الدفء خلال تاريخه الطويل ، سمحت بجريان الماء على سطحه . وقد كشفت الصور التي التقطتها سفينة الفضاء « مارينر ٩ » و « فايكنج » عددا من القنوات يوحي مظهرها بأن المياه الجارية حفرتها . وقدر عمر هذه القنوات بنحو أربعة بلايين سنة . وكان من الطبيعي ان يراود العلماء هذا السؤال : هل كان المريخ يوما ما كوكبا مأهولا ؟ وهل زاره رواد فضاء من كواكب اخرى .

أهرامات وأبو الهول على المريخ

في عام ١٩٧٢ م ، التقطت المحطة الفضائية الدولية ـ التي أطلقت آنذاك ـ صورا للعديد من التكوينات على سطح المرتفع المريخي المعروف باسم « ايليزيوس » . وقد وصف البعض هذه التكوينات بأنها حقل من الاهرامات رباعية الأوجه . وقامت المحطة نفسها بتصوير اشكال ذات هياكل مستقيمة تشبه المنشآت الصناعية ، وذلك في المنطقة الجنوبية للكوكب . وفي عام ١٩٧٦ م التقطت صور في منطقة نصف الكرة الشمالي للمريخ لأطلال مماثلة للأهرام المصرية في شكلها . كما التقطت صورة لتكوين يشبه ابا الهول ، حيث تظهر له ملامح شبه آدمية كالعينين المتناظرتين والفم والأنف وشعر يتحلى بتسريحة نسائية .

وكان من الطبيعي ان تثير هذه الصور خيال الكثيرين ، فلا أحد يمكنه ان يجزم ما اذا كانت أهرام المريخ و ابوالهول ـ الكائن هناك ـ مجرد تكوينات جيولوجية أم لا . وفي حالة ما اذا كانت هذه الآثار المريخية غير طبيعية ، فهل يعني هذا ان احدا ما ـ من مكان آخر في الوجود ـ قد وصل الى المريخ وشيد صروح هذه الآثار ؟

ان نفرا كبيرا من العلماء يتشككون في كون اهرام المريخ و ابي الهول ـ الموجودة هناك ـ أطلالا صناعية ، اذ ان رحلات الفضاء التي تمت حتى وقتنا الحالي اثبتت عدم وجود حياة على أي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية التي تنتمي اليها ارضنا وجارنا الايمن « المريخ » . ولعل القول الفصل في مسألة نشأة التكوينات الهرمية على الكوكب الاحمر سوف تقطع به « جهيزة » عندما يهبط الانسان على سطح المريخ . ومن المؤمل ان تطأ أقدام السوفييت سطح هذا الكوكب في عام ٢٠١٠ م ، وان غدا لناظره قريب □

ـ المراجع ـ

1- Steven W. Squares, The History of Water on Mars, Annual Review of Earth and Planetary Sciences, Vol. 12, 1984.
2- Michael H. Carr, The Surface of Mars, Yale University Press, 1981.
3- Robert M. Haberle, The Climate of Mars, Scientific American, May 1986.
4- The Planets Between Fire and Ice, National Geographic, January 1985.
5- James E. Oberg, Un Homme Sur Mars, La Recherche, Mensuel No. 176 April 1986.

٦ ـ خريستو تيليف ـ « الغاز وحقائق حول كوكب المريخ » ـ ترجمة د. عبدالله الصوفي ـ مجلة الثقافة العالمية ـ العدد ٢٣ ـ يوليو ١٩٨٥ م .

٧ ـ الكساندر كرازنوف ـ « آفاق علمية : مشروع فوبوس » ـ مجلة الثقافة العالمية ـ العدد ٢٥ ـ نوفمبر ١٩٨٥ م .

٨ ـ « الاتجاه صوب المريخ » ـ ترجمة د. رؤوف موسى ـ مجلة علوم (العراقية) ـ العدد ٢٣ ـ ١٩٨٦ م .





شعر: الدكتور عدنان

طوِّفي حيث شئتِ هذي المغاني … زهَـرَت بالقصيـد والمهرجانِ

يا لَنَفح الايمان ينشر طيبا … من فعال ورقّة من بيان

يا لَنـور يشـقُّ من ظلـمة الليـ … ـل ويسري بين الضلوع الحواني

يا لهـا خفقـةٌ من الكبـد الحـ … ـرَّى ودفقٌ من رحـمة وحنـان

أسعِفينا فكـم ضَلَلْنا وتاهت … في الدياجير خطـوة الانسان

اسعفينا بآيـة من بيـان … شعَّ من جوهرٍ كريم المعاني

كُلُّ حريـة تمـوت اذا لـم … تـك حريّـةً لصـدق لسـان

كُلُّ حسـن يموت فينا اذا لم … يك اغلاه آيـةٌ من بيـان

★ ★ ★

كم سقطنا وما نهضنـا فأهوت … بين أوحالنـا خُطـا الفرسـان

كـم خنقنا على الحناجر اصوا … تاً فماتت في غُصّـة وهـوان

الحروف الخرساء ذُلٌ وموتٌ … دُفنَت بين مُجـرم وجبـان

لهفـة الشـوق لم تزَل تتعالى … بين احنائنا ، وصفـوُ الأمـاني

أسعِفينا بروعـة الحرف يجلو … عِـزّةً أو يُعيـد من ايمـان

★ ★ ★

كـم عـدوٍّ تـراه يقتلُ فينـا … ومضةَ الحرف من هُدًى وجَنان

يا لَـذل الانسـان يطرحُـه الكفـ … ـرُ شتيتَ الأهـواء والاشجان

يا عبيداً يسوقها السوط في الأر … ضِ فتمضي هنـاك كالقطعـان

سـرقوا الومضـة الغنيّة لكـن … أشـرَقَت رغم ذاك منها اليدان

كيف تُخفَى اشراقةُ الحق مهما … أطبقَت فوقـها يدا الطغيـان

سـرقوا العطـرَ ثم ولّـوْا ولكن … نـثَرَتـه الخطـا بكـل مكـان

كلمـا أوغـلَ الجبـانُ بظلـم … جعـل الله فرجـةً من أمـان

ها هنـا نفحـةُ النبـوَّةِ من بـد … رِ وهـذي ملاحـمُ الفرقـان





بدر

رضا النحوي/الرياض

ها هنا تُصنع الرجال وتُبنى — أمة بين آية وسِنان

يا لبدرٍ ! ويا لمعركةٍ تمضـ — ـي مُضِيَّ الدهور والأزمان

ينحني عندها الزمانُ فيلقى — شُعَلًا من عزائم الايمان

في ميادينها تموج الليالي — ودَوِيٌّ من آية وأذان

والتطامُ الزحوف ، حمحَمَةُ الخيـ — ـل ، نداءُ الرحمن للانسان

عبقريُّ الجهاد من عزمةِ الشـ — ـوق ، ومن مهجةٍ ، ومن احسان

عبَقُ المجد كله في الثّنايا — في ذرىً اشرقَت وفي وديان

كُلُّ شبر مُضَمَّخٌ بدماءٍ — كلُّ ساح زَهوُ الربى والمغاني

ها هنا يُرفع القصيدُ ويُبنَى — أدبٌ مُلهِمٌ وفيضُ معاني

أدبٌ يرتوي البيانُ لديه — من حديث الرسول ، من قرآن

هو نبع من الهداية ، فيضٌ — من وفاءٍ ، وخفقةٌ من جَنان

★ ★ ★

ها هنا تزخرُ البطولاتُ في التا — ريخ من صادقِ الوفاءِ وحان

فتناولتُ من هناك من التا — ريخ ، من روضةٍ ومن بستان

جوهرَ المجد أو لآلِىءَ فتحٍ — أو عقوداً منظومةً من جُمان

ووروداً تفتَّحَت وزهوراً — عبَقَت بالشذا ، ونفحَ جِنان

فاذا كلُّها تَجَمَّعُ آياً — في فؤادٍ حانٍ وفي وجدان

لمحةٌ تجمعُ الفرائدَ من بـ — ـدرٍ ومن وثبةٍ وزهوِ يَمان

لا تغيبي عنّا ميادينَ بدرٍ — أطلِقي من مواكبِ وعِنان

★ ★ ★

انّ اعلى البيانِ دفقُ دماءٍ — فجَّرَتها مواقعُ الايمان

كلُّ حرفٍ يصوغُه دمُ حرٍّ — هو نورٌ يسري مع الأزمان



أولُ معجمٍ عربيّ يعتمدُ النّظام الألفبائي

بقلم: عباس هاني الجراخ / العراق

تُعدّ الدراسات المعجمية، من أقدم الدراسات في مجال اللغة العربية، لارتباطها ومصاحبتها للدراسات القرآنية. اذ ان اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم ومحاولة تفسيره، دفعهم الى الاهتمام بلغته الفصيحة.

ولما ظهرت المدونات المعجمية الكثيرة، كان أصحابها قد أخذوا مادتها من أفواه الرواة والأعراب في بادية الجزيرة، حتى استقامت لهم تلك المعجمات وشهرت.

ومن نافلة القول، الحديث عن ترتيب حروف العربية. اذ وضع اللغويون والمعجميون، نظامين لترتيب الحروف، لضمان وضع المفردة اللغوية في مكانها المناسب في المعجم. النظام الأول هو: الترتيب الأبجدي (أ، ب، ج، د... ض، ظ، غ) والثاني: الترتيب الالفبائي؛ وهو النظام الذي وضعه «نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ)، والذي يبدأ بـ (أ، ب، ت...) وينتهي بالياء. وهذان هما النظامان الرئيسيان لجمع أصوات العربية.

وهناك نظام آخر، لا يمكننا ان نعده نظاما قائما برأسه كالنظامين السابقين، لصعوبته وعدم مرونته، وهو الذي وضعه الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، صاحب كتاب «العين». اذ نشر حروفه وألفاظه ـ فيه ـ على حروف الحلق، فهو (ع، ح، هـ، خ ..... ء).

ولما كان هذا النظام ـ كما أسلفنا ـ فيه بعض الصعوبة والعسر، فقد عمد المعجميون الى السير على نظام الترتيب الألفبائي للحروف العربية. ولعل أول من قام بذلك هو «ابو عمرو الشيباني» مؤلف معجم «الجيم».

الشيباني

هو اسحاق بن مرار الكوفي المعروف بـ «الاحمر»، ويكنّى بـ «أبي عمرو»؛ لأن ابنه كان اسمه «عمرا». ولقب بالشيباني، لأنه جاور بني شيبان، أو علم أولادا من بني شيبان فنسب اليهم، على ان ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، ذكر ان سبب تلقيبه بـ «الشيباني»، «لأنه كان يؤدب ولد هارون الرشيد»، الذين كانوا في حجر «يزيد بن مزيد الشيباني»، فنسب اليه[1].

١ ـ «إرشاد الأريب الى معرفة الأديب» ـ «معجم الأدباء» القاهرة، تحقيق مرجليوت ـ ١٩٢٤ م (٢/٢٣٣).

ولد في حدود عام ٩٤ هـ ـ ٧١٢ م . وشب على حب لغة القرآن بحثا وتأليفا ، وذهب الى البادية ، وجمع شعر قبائل العرب ، وانفق فيه سنوات طوال . وقد شهد المؤرخون العرب بسعة ثقافته وطول باعه في اللغة والأدب والغريب ، حتى قال فيه الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : « كان ابو عمرو نبيلا فاضلا عالما بكلام العرب ، حافظا للغاتها »[٢] . وفضله ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، على ابي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٣ هـ) ، فقال : « كان مع ابي عمرو الشيباني من العلم والسماع ، عشرة أضعاف ما كان مع ابي عبيدة ، ولم يكن في البصرة مثل ابي عبيدة في السماع والعلم » . اما ابو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ، فقال عنه : كان « اعلمهم باللغة ، وأحفظهم ، وأكثرهم أخذا عن ثقات الاعراب »[٣] . وهذا ـ القول الأخير ـ قول عدل يصدر عن بصري ، شديد على الكوفيين ، إلا ان الحق لم يمنعه من ان يقول في الرجل خيرا وصدقا ؛ وتلك أخلاق العلماء .

مؤلفاته

ترك لنا أبو عمرو الشيباني عددا من مؤلفاته وآثاره الجليلة ، منها ما فقد وأتت عليه عوادي الزمن ، ومنها ما بقي حبيس الرفوف والخزائن مخطوطا ، ومنها ـ وهو القليل ـ ما قد طبع . واذا جمعنا (دواوين أشعار القبائل) التي وصل فيها الى « ابن هرمة » (ت ١٥٠ هـ) والتي بلغت نيفا وثمانين كتابا مع ما رواه وهو اكثر من ثلاثة عشر كتابا ، كان مجموع نتاجه ، قد ناهز المائة كتاب . وهو مقدار عظيم وكبير . ومؤلفاته هي[٤] : ـ الابل ، اشعار القبائل ، الجيم ، الحيات ، خلق الانسان ، الخيل ، غريب الحديث ، الغريب المصنف ، النمل والعسل ، النخلة ، النوادر (الكبير) .

وفاته

اضطرب المؤرخون القدماء والمحْدَثون في تأريخ وفاة ابي عمرو الشيباني ؛ الا ان المرجح والصحيح ، انه توفي عام ٢١٣ هـ ـ ٨٢٨ م ، مع ابراهيم المغني وابي العتاهية ، في يوم واحد !

تسمية الجيم

اختلف الدارسون ، في سبب تسمية المصنف كتابه بـ (الجيم) . فاذا كان الفراهيدي قد سمَّى كتابه (العين) بهذا الاسم ، لأنه بدأه بهذا الحرف . فلماذا سمَّى الشيباني كتابه بذاك الاسم ، على الرغم من انه لم يبدأه بالجيم . بل بالهمزة . ولقد تشعبت الأقوال في سبب التسمية ، ونحن هنا لن نعرض لها ؛ لأنها لا تغني من الحق شيئا ، بل سنذكر القول الفصل في هذه المسألة المهمة .

يرى د. رشيد عبد الرحمن العبيدي[٥] ـ ونحن نتفق معه في ذلك ـ ان الشيباني ، قد الف كتابه هذا ، وسماه ـ أول الأمر ـ بـ (الحروف) ، أو (اللغات) ، أو (النوادر) ! وأحد هذه العناوين ـ أو بعضها ـ هو الاسم الأصلي للكتاب ؛ وحين رآه جيدا ، وجامعا شاملا لما اراد من لغات العرب ، ونادر ألفاظها وكلامها ، شبهه بالديباج لحسنه في نظره ، وجمال نسجه . اذ ان (الجيم) يعني (الديباج) . قال الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ، « الجيم ـ بالكسر ـ : الابل المغتلمة والديباج ، سمعته عن بعض العلماء نقلا عن ابي عمرو مؤلف كتاب الجيم »[٦] . وقد شرح عبارة الفيروز آبادي ، اللغوي (مرتضى الزبيدي) (ت ١٢٠٥ هـ) ، وزاد فيها قليلا في « تاج العروس »[٧] .

---

٢ ـ « تأريخ بغداد » ، القاهرة ١٩٣١ م (٦/٣٢٩) .

٣ ـ « مراتب النحويين » . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة (٩١) .

٤ ـ ظ ، في مؤلفاته ، اضافة الى المصادر السابقة : « الفهرست » ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) ط . فلوجل لايبزك (٦٨) ؛ « تهذيب اللغة » : الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) القاهرة ١٩٦٤ م (١/٢٣١) . « وفيات الأعيان في انباء أبناء الزمان » . ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) . ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ١٣٦٧ هـ (١/٢٠٠) .

٥ ـ « مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري » بغداد ، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م (١١٥) .

٦ ـ « القاموس المحيط » . القاهرة ، مؤسسة الطباعة (٤/٩٤) .

٧ ـ « تاج العروس » ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ـ ١٣٠٥ هـ (٨/٢٣٦) (جيم) .

منهج الجيم

يمكننا أن نعرض لمنهج كتاب (الجيم) ، محاولين الوصول الى المنهج الذي اختطه الشيباني باعتماده على الترتيب الالفبائي للعربية . وذلك عبر النقاط الآتية :

★ بدأ المصنف معجمه بمقدمة للكتاب ، الا انها فقدت بمرور الزمن ، ولم تظهر في طبعة القاهرة . وقد شهد بها القفطي (ت٦٤٦ هـ) ، اذ قال : « كتاب الجيم لأبي عمرو اسحاق بن مرار وهو كتاب مشهور تشهد عليه مقدمة الكتاب » ، وقوله : « ولم يذكر في مقدمة الكتاب لم سماه الجيم »[٨] .

★ نثر المصنف ، الحروف الألفبائية على عشرة أجزاء وجعل لكل جزء جملة مختلفة العدد عن الجزء الذي قبله او الذي يليه ، وسمى كل حرف بابا . ففي الجزء الأول : الأبواب (الحروف) أ ، ب ، ت ، ث ، ج . وجعل الجزء الثاني خاصا بالحاء . والثالث حوى الحروف : خ ، د ، ذ . أما الرابع فللراء وحدها . والخامس تضمن الحروف : ز ، س ، ش . والسادس : ص ، ض ، ط ، ظ ، وأول العين . والسابع لبقية العين والغين . والثامن : ف ، ق ، والتاسع لحرفي الكاف واللام . والعاشر لبقية الحروف وهي : م ، ن ، هـ ، و ، ي . وبذلك تم الكتاب .

★ التزم المصنف بالحرف الأول من كل مادة لغوية ، أي انه جعل الهمزة بمكان الفاء من الفعل ، غير ناظر الى عينه أو لامه . من ذلك : « قال ابو عمرو الشيباني : الأوق : الثقل »[٩] .

★ ينقل الشيباني المفردة المعجمية كما سمعت عن الاعراب ، لذلك لم يراع في ترتيب المواد ما عليه تلك المادة اللغوية ، ولكنه يهتم بفاء الكلمة وأصلها ؛ بتعبير آخر : انه نظر الى أصل المادة اللغوية ، كما هي عند العرب . ولذلك نجد كلمة (المأفول) في حرف الألف ، و (المبناة) ، في الباء . و (متيح) في التاء[١٠] .. وهلم جرا .

٨ – « إنباه الرواة في أنباء النحاة » ١٣٦٩ هـ (١/٢٥٥) .
٩ – « الجيم » ، ت : ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م (١/٥٣) .
١٠– « الجيم » ١/٨٥ ، ٨١ ، ٢٧٨ . ظ : « مشكلات في التأليف اللغوي » ١٢١ .

★ استشهد ابو عمرو الشيباني بكثير من القصائد والمقطعات للشعر والرجز . الا انه نادر الاستشهاد بالقرآن والحديث ، ونرى ان مرد ذلك ، يعود الى اهتمامه بالغريب الحوشي والنادر من لغات العرب من التي يندر ان نجد منها شيئا في القرآن الكريم او الحديث النبوي ؛ وان الرجل اهتم بلغات القبائل فقط .

★ ينسب المؤلف في كتابه هذا ، بعض الاقوال الى الاعراب ، او الى المنسوبين الى قبائل العرب ، من ذلك قوله : « قال الشيباني والنحوي والتغلبي : « الأنوق : طائر مثل الدجاجة العظيمة سوداء ، صلعاء الرأس ، منقارها أصغر »[١١] ، ونرى كثيرا من مثل : « قال ابو الغمر »[١٢] و « قال التميمي » و « قال الخثعمي » ... الخ .

★ فسر ابو عمرو الشيباني صيغ الثلاثي ومشتقاته ، اضافة الى صيغ الرباعي والخماسي ومشتقاتهما .

★ في الكتاب ذكر لبعض المواضع والبلدان والأمكنة ، قد تفيد المعنيين بهذه الموضوعات والجغرافيين كقوله : « الشرم : المكان من البحر ، لا يدرك غمره ، ومنه مكان يقال له : شرم جابر »[١٣] .

أهمية الكتاب

لم تكن شهرة (الجيم) لتقل عن (العين) . وقد جَمَعَهُما ابن فارس (ت ٢٩٥ هـ) في بيت واحد ، وهو :

والمجمل المجتبي تغني فوائده
حفاظه عن كتاب (الجيم) و (العين)

لذلك نجد ان الدارسين والمؤرخين ، على اختلاف زمانهم ومشاربهم – قد اهتموا به وبدراسته ومنهجه ، ولم يكن ذلك الاهتمام ليكون و يثار لولا الأهمية المتميزة التي نالها وحظي بها الكتاب ومصنفه ، دون سواه . ولعل أهمية الكتاب تكمن في الأمور الآتية :

★ اعتمد أبو عمرو الشيباني في (الجيم) ، نظام الترتيب

١١– م . ن ١/٧١ .
١٢– م . ن ١/٦٦ ، ٨٨ ، ٣٠٤ . ٢/٥٢ ، ١٤٧ . ٣/١٠ ، ٣٠ .
١٣– م . ن ٢/١٥٧ .

الالفبائي لحروف العربية، فكان اول المعجمات العربية التي اتبعت هذا النظام وسارت عليه. ويمكن ان يعد هذا المعجم ـ أو نظامه ـ الأساس في المعجمات التالية له.

* احتوى (الجيم) على عدد كبير من قبائل العرب، ممن أخذ عنهم الشيباني. ويرى (د. حسين نصار) ان كتاب (الجيم)، «يفوق في هذا الجانب جميع المعاجم التي بين أيدينا، اذ ان إشاراتها الى لغات القبائل قليلة متناثرة»[١٤]. واذا ما قارنا بينه وبين (العين)، نجد ان الكتابين قد رويا اللغة عن تميم وهذيل واليمن وطيء وعقيل والأزد وأهل الحجاز. وانفرد الجيم بذكر حوالي خمسين قبيلة عربية!![١٥].
* في الكتاب بعض الإشارات الاجتماعية التي تحكي واقع العربي في باديته، اضافة الى الأبيات الشعرية والمقطعات، والمواضع والأمكنة، التي نشرها الشيباني في كتابه، مع هدفه الأسمى؛ وهو جمع المفردات اللغوية المعجمية.

نشرة الكتاب

نرى ان أول من تنبه الى كتاب (الجيم)، هو المستشرق «فيرنرديم»، اذ نشر (حرف الكاف) منه، في مجلة «الأبحاث»، التي تصدرها «الجامعة الامريكية» في بيروت.

وفي مكتبة «الأسكوريال»، مخطوطة لمعجم (الجيم)، وعنها نسخة مصورة، لدى مكتبة «مجمع اللغة العربية» في القاهرة. وعن هذه المخطوطة المصورة تم طبع ـ ونشر الكتاب، بتحقيق الاستاذ ابراهيم الأبياري، وعبد الحليم الطحاوي، وعبد الكريم الغرباوي، ومراجعة كل من الاساتذة محمد خلف الله احمد، والدكتور محمد مهدي علام، وعبد الحليم حسن، وذلك في سنتي ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م / ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م في ثلاثة أجزاء وتولى الاستاذ الأبياري تحقيق الجزء الأول منه على عاتقه وحده.

وعلى الرغم من كثرة الاعلام التي حفل بها الكتاب، فان المحققين الشقات، لم يصنعوا فهرسا خاصا لهم، ييسر للباحث أو القارىء البحث عن مراده وغايته فيه. لذلك قامت السيدة «فائدة محمد مفيد آل ياسين»، بصنع فهرس لأعلام المعجم، لإفادة الباحثين والقراء، أثناء قراءة هذا السفر المهم. ونشرت هذا الفهرس في مجلة (المورد)، البغدادية عام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م[١٦].

وبعد، هذا بعض من كثير؛ وغيض من فيض، من البحث عن (الجيم) لأبي عمرو الشيباني. والله الموفق لما فيه الخير □

١٤ـ «المعجم العربي»، القاهرة ط ١ ـ ١٩٧٢م ـ ١٩٧٣م (٨١).

١٥ـ «الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة»: د. هاشم الطعان، بغداد ـ وزارة الثقافة والفنون، مطبعة دار الحرية ١٩٧٨م (١١٣).

١٦ـ المورد (مجلة) ـ بغداد ـ وزارة الثقافة والاعلام م ١ ـ ع ٢ ـ ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م (٢٧٧).



في السنة الثانية من الهجرة النبوية نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾.

وكانت فريضته لليلتين خلتا من شعبان في تلك السنة. وقد بشّر النبي ﷺ صحابته، بما أُنزل عليه من فريضة الصيام، وبيّن لهم فضائلَه، ووصفه بأنه شهرُ خير وبركة، فعن ابي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فَرَض الله عليكم صيامَه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه مَرَدَةُ الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، مَن حُرِم خيْرَها فقد حُرم».

وكان النبي، ﷺ، إذا رأى هلال رمضان قال: «اللهم أهِلَّه علينا باليُمْن والإيمان، والسلامة والاسلام، ربي وربُّك الله».

وفضائل هذا الشهر الكريم كثيرةٌ وجليلةٌ، والأحاديث التي وردت في مزاياه عظيمةٌ، منها قول النبي، ﷺ،: «اذا كان اول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبِلْ، ويا باغي الشر أقصِرْ، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة».

السيكوآنيميا

من آفات الحضارة الحديثة

بقلم: محمد محمد عيسوي الفيومي/ مصر

يتسم عصرنا الراهن بكثير من الاضطرابات النفسية، ذلك لأن التقدم التكنولوجي يسير بخطى سريعة ومتلاحقة لم تستطع قدرة الانسان ان تسايره، مما حدا ببعض علماء النفس ان يطلقوا على عصرنا الحالي عصر الزحام، وقد تخلف عن ذلك أعباء وضغوط نفسية كان لها أثرها البالغ على نفوس الناس ومن ثم وقع كثير من الناس فريسة لبعض الأمراض والمشاكل المعقدة، وانتشرت المتاعب النفسية والاضطرابات الانفعالية كالقلق والهستيريا والتوتر النفسي وغيرها من الأمراض التي حفل بها العصر ومن هذه الأمراض «السيكوآنيميا» أو الضعف النفسي، وهو أحد الأمراض النفسية التي تتميز بشعور المريض الدائم بالتعب والملل والإنهاك الجسمي والعقلي بالاضافة الى مجموعة من الأعراض الأخرى. والسيكوأنيميا مرض يصيب الرجال اكثر من النساء، ويكثر بين متوسطي العمر بصفة خاصة، ولتشخيص السيكوأنيميا يحتاج الأمر الى دقة من المعالج ذلك لتشابك أعراض الامراض النفسية وتشابه سماتها. وهناك مجموعة من الأعراض العقلية والجسمية تميز السيكوأنيميا بجانب الشعور بالإجهاد والتعب، الذي هو العرض الأساسي لهذا المرض مع الأخذ في الاعتبار ان شعور المريض بالإجهاد والتعب لا يستمر على درجة واحدة بل يتأثر بدرجة تنبه المريض له. فعندما ينهمك في العمل وينسى نفسه يقل هذا الشعور ويقبل على العمل بجد ونشاط، ولذلك فمن الملاحظ ان مرضى السيكوأنيميا يستيقظون في الصباح وهم متعبون منهكون مع انهم لم يبذلوا أي جهد، ثم اذا خرجوا لحياتهم اليومية وانخرطوا في عملهم قلَّ شعورهم بالتعب والإجهاد.

ومن أهم الأعراض العقلية التي تظهر على المصاب بالسيكوأنيميا ضعف الذاكرة وضعف القدرة على الاستذكار والاستيعاب وعدم الفهم. فالطالب المصاب بالسيكوأنيميا يعاني ويشكو من عدم استذكار



دروسه وان المادة التي يذاكرها اليوم لا تعلق بذهنه بل سرعان ما ينساها، ويزيد من حالته سوءاً الشعور بالاجهاد والملل الذي يصاحب هذه الحالة، والذي يجعل من اقباله على عملية المذاكرة عملية شاقة مرهقة لا تحقق نتيجة، كما يبدو المريض بالسيكوأنيميا منقبض الصدر على الدوام وتبدو عليه سمات اليأس والإحباط وتظهر علامات الحزن على قسمات وجهه. فالمريض لا يميل الى اللهو، ويتجنب المرح، ولا تعجبه الحفلات، ولا يقبل على الملاهي، ويرفض مشاهدة أفلام الكوميديا والمسرحيات الفكاهية، كما انه يفضل حياة الوحدة، ولا ينخرط في المجتمعات بصفة عامة، ودائم الشكوى من ضعفه وتعبه، ويعزو ذلك باستمرار الى ضعف في تكوينه. ونظرا لشعوره بالتعاسة وهبوط الهمة واليأس، فانه يحاول البحث عن هذه المشاعر عند الآخرين. ولذلك فهو كثير النقد لهم ويجد لذة غير عادية في ان يرى غيره في مثل حالته، أما أعراضه الجسمية فيتعلق أغلبها بحالة الإجهاد والتعب المميزة لمرض السيكوأنيميا مثل ارتخاء عضلات الجسم وثقل الأطراف حتى ليبدو المريض وكأنه يحمل جسمه ويسير به، وأيضا ثقل الرأس والصداع، وعدم استقرار البصر، وظهور آلام في الأطراف، أو في العنق أو في الظهر وخاصة في الجزء الأسفل منه، ويبدو الإجهاد ايضا في الجهاز الهضمي فيفقد المريض شهيته ويقلل من طعامه وتظهر عليه أعراض أمراض الجهاز الهضمي المختلفة وقد يشعر بنوبات من المغص وامساك شديد مما يلجىء المريض الى استخدام كافة وسائل العلاج الخاصة بهذه الأمراض

والإسراف في تناولها دون جدوى لأن الاعراض هنا نفسية وليست عضوية، وهذا ما يؤكد ان الجسم وحدة جسمية نفسية اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمَّى . كما يؤكد ذلك ارتفاع نسبة الامراض السيكوسوماتية في عصرنا الراهن اذ تؤكد الاحصاءات أن حوالي ٩٠٪ من الأمراض العضوية المعروفة ترجع في مَنشئها الى أسباب نفسية، ولعل من أظهر هذه الأمراض ضغط الدم والربو الشعبي والسكر وقرحة المعدة والحكة الجلدية والصداع النصفي وغيرها من الأمراض النفسية التي يعبر عنها بعض أعضاء الجسم . ويتأثر الجهاز الدوري بالسيكوأنيميا كذلك فتزداد سرعة دقات القلب لأقل مجهود مع عدم انتظام هذه الدقات، كما لا ينتظم وصول الدم الى الجلد ونتيجة لذلك يشعر المريض تارة بالبرودة وتارة اخرى بالسخونة فيخشى تقلبات الجو ويعمد الى الإكثار من الملابس والمبالغة في استخدام وسائل التدفئة .

أسباب الإصابة بالسيكوأنيميا

تختلف وجهات النظر في أسباب الإصابة بالسيكوأنيميا، ويذهب بعض علماء النفس الى أن السبب يرجع الى الإجهاد الناتج عن الحالة النفسية التي يعاني منها المريض، ويرى البعض الآخر ان السبب انما يرجع الى حالة من التوتر النفسي تنشأ عن وجود مشكلة لها أهمية خاصة عند المريض، وتستغرق منه جهدا كبيرا ومعاناة لكي يصل الى حلها، هذان يكونان على حساب الطاقة الحيوية للجهاز العصبي فتضعف وظائفه وتقل بالتالي قدرته على تنظيم عمل الجسم، فيظهر الإجهاد والتعب على بعض أجزائه وأعضائه فيرتبك عملها ثم تظهر الأعراض المختلفة .

أما فرويد فيرجعها كعادته الى كبت بعض الغرائز أو بعض خبرات الطفولة المؤلمة التي تكونت في اللاشعور ويظهر هذا المرض كتعبير عنها . ويدعو الى ضرورة الرجوع الى تاريخ حياة الفرد ومعرفة الظروف التي مر بها وخاصة طفولته .

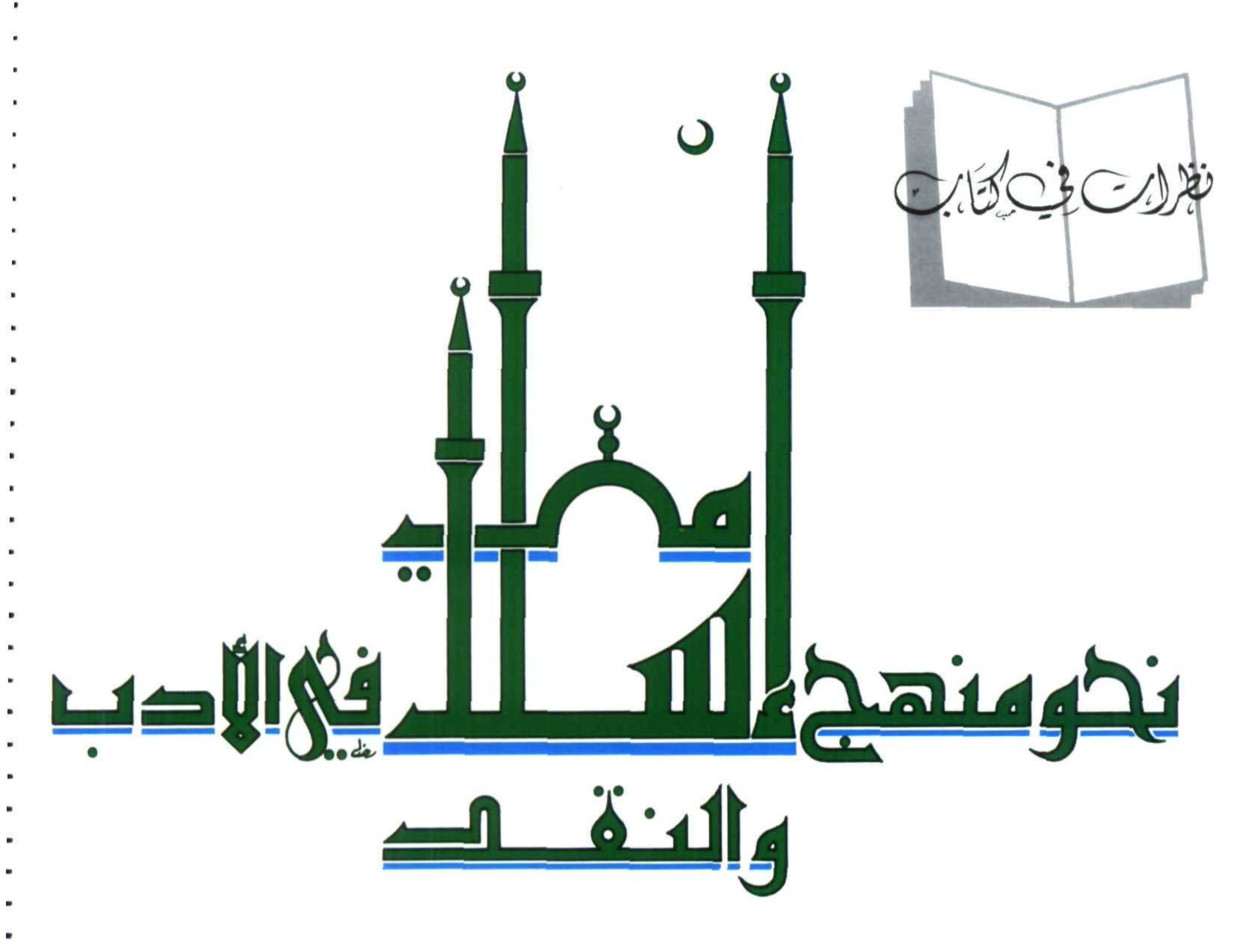
الوقاية والعلاج

يشتمل العلاج في العادة الناحيتين الجسمية والنفسية، وذلك بالعمل على راحة الجسم فينصح المريض بملازمة المنزل وعدم بذل أي مجهود والاكتفاء بالقراءة الخفيفة وتلاوة آيات القرآن الكريم، وهذه تؤدي الى الهدوء النسبي . كما ينبغي ان يركن المريض الى الصلاة لأن الوقوف بين يدي الله ينمي الثقة بالنفس ويزيل كل اسباب التوتر النفسي إثْرَ شعور المريض بالصلة بينه وبين خالقه، وهي من دعامات الشخصية السوية . كما تؤدي الى ازالة التوتر والعودة الى الهدوء، كما ينبغي الاعتناء بتغذية المريض وبتناول بعض الأدوية المقوية والمنشطة اذا لزم الأمر . اما العلاج النفسي فينبغي ان يساعد المريض في الكشف عن مصادر التوتر النفسي وكيفية نشأته وكيفية ارتباطه بالاعراض التي يشكو منها المريض مع توجيهه الى الطرق السليمة التي تساعده على التخلص من التوتر وعلى الحياة النفسية السليمة . كما ينبغي دراسة حياة الفرد وخاصة مرحلة الطفولة حيث ان المراحل المبكرة من عمر الفرد تؤثر تأثيرا كبيرا في حياته المستقبلية حيث ان هناك بعض المؤثرات تترك طابعا خاصا في نفس الفرد . كما ينبغي تشجيع المريض على التحدث بحرية عما يشكو منه، وان يشرح مشكلته كما يرى، وان ينفض همومه ومشاعره، وهذا ما يعرف بالتفريغ الانفعالي ومحاولة ابعاد كل المشاعر الانفعالية وعوامل القلق التي كانت تحول دون رؤيته لها رؤية سليمة والاهتمام بظروف المريض الراهنة ومحاولة تخفيف الضغوط عنه، كما ينبغي توجيه المريض الى العودة الى رحاب الدين والتمسك بتعاليمه السمحة التي تحض على الأمانة والصدق والتسامح وطلب العلم والتعاون والصبر والصلاة والدعاء والعفة والبعد عن الحرام، لأن في ذلك ما يقوي الارادة لدى الفرد فتحفه السكينة وينعم بالأمن إثْرَ تعمق الايمان لديه ويسعد بالتقوى في رحاب الدين الذي يكون له عاصما من الزلل، وصدق الله اذ يقول : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾(*) □

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ ابراهيم وجيه : «صحة النفس» ـ دار المعارف ـ اسكندرية ١٩٨١ م .
٣ ـ احمد عزت راجح : «اصول علم النفس» ـ دار المعارف ـ اسكندرية ١٩٨٠ م .
٤ ـ عبدالعزيز القوصي : «اسس الصحة النفسية» ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٨٢ م .
٥ ـ سعد جلال : «المرجع في علم النفس» ـ دار المعارف ـ اسكندرية ١٩٨٢ م .

(*) ـ سورة الرعد، آية رقم ٢٨ .



نحو منهج إسلامي في الأدب والنقد

تأليف : د . عبدالرحمن رأفت الباشا

عرض : د . مأمون فريز جرار / جامعة الملك سعود بالرياض

مايزال الحديث عن الأدب الاسلامي غريبا لدى كثير من الدارسين والباحثين في الأدب . وما يزال نفر من أساتذة الجامعات المتخصصين في الأدب العربي يلقونك بوجوه نافرة ان انت ذكرت مصطلح الأدب الاسلامي . وتجد منهم من يقول لك : وهل هناك أدب اسلامي وآخر مسيحي ؟

ولعل مما يجلو قضية الأدب الاسلامي ويزيل شكوك المتشككين السعي الى جلاء مفهوم الأدب الاسلامي بعرض آراء دعاته ، واستكشاف آراء رواده .

والكتاب الذي أضعه بين أيدي القراء هو « نحو منهج إسلامي في الأدب والنقد » للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا . والمؤلف ـ يرحمه الله ـ من أشد الدعاة الى الأدب الاسلامي حماسة له ، وعملا على بيان معالمه . فبعد ان كانت الدعوة الى هذا الأدب حلما يراود عددا من الكتاب السابقين صار على يديه حقيقة واقعة ، فصار مادة دراسية مقررة في كلية اللغة العربية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ، وفروعها الأخرى ، وكتبت فيه الرسائل الجامعية لنيل درجتي الماجستير



والدكتوراه . وقد جند المؤلف عددا كبيرا من الطلبة لاعداد موسوعتين في الأدب الاسلامي ، الأولى : شعر الدعوة الاسلامية ، والأخرى موسوعة النثر الاسلامي . وقد عقدت بجهود الدكتور الباشا وغيره من الدعاة الى الأدب الاسلامي عدة ندوات علمية في لكنو بالهند وفي المدينة المنورة في الجامعة الاسلامية ، وفي جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو ثمرة تدريس المؤلف مادة الأدب الاسلامي سنوات طويلة في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الاسلامي .

وقد آثر المؤلف ان يقدم هذه المحاضرات مجموعة في كتاب لتكون ميسرة للطلبة والباحثين والمهتمين بالأدب الاسلامي ، وقد صدر هذا الكتاب بمناسبة انعقاد ندوة الأدب الاسلامي في جامعة الامام سنة ١٤٠٥ هـ .

وان مما يلفت النظر خلو الكتاب من مقدمة كنا نود وجودها لأنها دليل للقارىء الذي يقبل على الكتاب . ويلفت النظر كذلك الى ان الكتاب غير مقسم الى أبواب وفصول ، بل تجد نفسك امام عناوين متتابعة ذات صلة بالأدب الاسلامي ونقده .

واذا افتقدنا المقدمة والاطار المنهجي في الكتاب ، فاننا لا نفتقد تسلسل الموضوعات . فالكاتب يمضي بالقارىء مرحلة اثر اخرى يعرض عليه وجهات النظر المختلفة ويناقشها مناقشة العالم الباحث الذي يريد ان يصل الى الحقيقة ، ويضع عليها يد القارىء .

إن الغاية واضحة لدى المؤلف وهي رسم معالم نظرية الأدب الاسلامي ، وقد اقتضاه هذا في البداية بيان موقف الاسلام من الأدب من خلال الكتاب والسنة . والكاتب موضوعي في نظرته ، ومنهجه واضح لديه ، فهو لا يزعم انه سيتحدث عن الفنون الأدبية جميعها وموقف الاسلام منها ، وانما سيتخذ عدداً منها نموذجا ، فاذا وصل الى احكام بشأنها عممها على سائر الفنون . يقول : « لكننا حين نشرع في تحديد نظرة الاسلام الى الأدب لن نتناول موقفه من الفنون الأدبية جميعها ، فذلك امر عسير المنال ، لأن كثيرا من هذه الفنون جد على المسلمين بعد الكتاب والسنة ، وانما سيدور كلامنا حول الشعر والقصة والخطابة ، فهي الفنون التي كان للاسلام منها موقف محدد ، ولك بعد ذلك ان تقيس ما لم نذكره من الفنون الأدبية على ما ذكرناه »(١) .

ثم يعرض الكاتب موقف الاسلام من الشعر من خلال حديث رسول الله ، ﷺ . ويبدأ أولا بما جاء في مدح الشعر ، وما أحدثه الاسلام من تغيير في وظيفة الأدب ، حيث صار وسيلة من وسائل الجهاد ، فالنبي ، ﷺ ، يقول : « جاهدوا الكفار بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم » . وهذا يعني ان الاسلام يلقي مسؤولية كبرى على عاتق الأدباء . « فأسلات الأقلام في هذا الدين كشفرات السيوف ، وكل أديب يستحق هذا اللقب يقف على ثغر من ثغور الاسلام »(٢) . وهذا يعني ان الأدب ليس « نافلة في الحياة وانما هو عنصر من عناصرها الأصيلة الثابتة ، وليس الأدباء بسكان الأبراج العاجية وانما هم حملة السلاح في المعركة »(٣) . واذا كان للأدب هذه « الوظيفة النضالية » كما يقول المؤلف فانه لا بد من توفر صفات خاصة في الادب الذي يسمى اسلاميا . « فان نظافة الأدب وبراءته من فاحش الكلام امران لا غنى عنهما لأي أدب يرنو الى الدخول في رحاب الأدب الاسلامي . أما الادب الذي يصف العورات ، ويثير الشهوات ، ويستبيح الحرمات ، فهو أدب غير اسلامي كائنا من كان قائله »(٤) .

١ ـ ص/٤ ، ٢ ـ ص/٩ ، ٣ ـ نفسه .
٤ ـ ص/١١



ولكي تكتمل الصورة من الموقف النبوي من الشعر يورد الكاتب ما جاء من أحاديث في ذم الشعر، ويمضي في بيان الفهم السليم لها، ويخلص الى الاستشهاد بقول مأثور هو «ان الشعر كلام كأي كلام آخر، فحسنه حسن وهو مقبول، وسيئه سيء وهو مرفوض». ولو لم يكن الأمر كذلك لما استحسن الرسول عليه الصلاة والسلام حسنه ولما امر شعراءه (حسان وكعبا وعبدالله بن رواحة) أن يردوا على المشركين ويحموا أعراض المسلمين.

ثم يقف على الآيات الكريمة التي وردت في شأن الشعر في نهاية سورة الشعراء يبين ان المذموم من الشعراء هم الذين هجوا النبي ، ﷺ ، «والذين يمزقون الأعراض، ويعرّون النساء، ويرمون المحصنات، ويمدحون من لا يستحق المدح، ويذمّون من لا يستحق الذم»[٥]، وأما الشعراء الذين آمنوا واهتدوا فهم خارجون من الذم داخلون في الاستثناء الوارد في الآيات.

ويحدد الكاتب بعد هذه الجولة مع الآيات والأحاديث، موقف الاسلام من الشعر فيقول: «ان الاسلام لا يحارب الشعر لذاته، وانما يحارب الفاسد من مناهج الشعراء، ... ذلك لأن الشعر باب من أبواب الكلام، وضرب من ضروبه، فصالحه كصالح غيره من الكلام وهو مقبول، وفاسده كفاسده، وهو مرفوض، وما يقال عن الشعر يقال عن فنون الأدب الأخرى كالخطابة والقصة والأقصوصة وغيرها»[٦]. وبما ان الكاتب يسعى الى بيان أصول مذهب أدبي جديد فانه يقدم تصورا موجزا للمذاهب الأدبية القائمة، ويضعها في ميزان الاسلام، ثم يصل بعد ذلك الى ضرورة وجود مذهب الأدب الاسلامي، ذلك لأن المذهب الأدبي تطبيق لنظرات فلسفية او تصور اعتقادي. واذا كان للشعوب شرقيها وغربيها مذاهب أدبية نابعة من تصورها للحياة فان المؤلف يتساءل «عن الملايين الذين ينتشرون على أوسع رقعة من المعمورة تمتد من المحيط الأطلسي غربا الى الهند شرقا، ويدينون بالاسلام، ويؤمنون بنظرته الربانية الى الانسان والكون والحياة، ما شأنهم في هذا المضمار، وما المذهب الأدبي الذي ينتمون اليه أليس من حقهم ان يكون لهم مذهب أدبي متميز القسمات واضح الغايات..»[٧] والكاتب يرى ان هذا الذي يدعو اليه قد تم في العهد النبوي وفي زمن الفتوحات، فكان للمسلمين أدبهم الذي واكب الدعوة والجهاد، واذا كان الأدب الاسلامي قد وجد من قبل فان من الضروري وجود النقد الاسلامي. يقول الكاتب: «وكما نحن بحاجة الى أدب اسلامي معاصر يواكب حياتنا، ويعبر عنها، فنحن بحاجة الى نقد اسلامي معاصر يواكب هذا الأدب ويؤصل أصوله، ويضع له معالمه وصواه»[٨].

والكاتب أمين مع نفسه وطلبته وقرائه، فهو لا يزعم انه اول من جاء بهذه الدعوة بل له سلف كريم اشار الى وجودهم وهم ابو الحسن الندوي وسيد قطب ومحمد قطب ونجيب الكيلاني وعماد الدين خليل.

ولعل القارىء يعجل فيسأل الكاتب عن ماهية هذا الأدب الذي نصب نفسه داعية اليه. فيقول له انه «التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والانسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع من التصور الاسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته»[٩].

ويأخذ في شرح عناصر هذا التعريف. ثم ينتقل الى الحديث عن الخصائص العامة للأدب الاسلامي وهي

٥ ـ ص/١٩ ، ٦ ـ ص/٢٠

٧ ـ ص/٨٥ ، ٨ ـ ص/٩٠ ، ٩ ـ ص/٩٢



انه أدب غائي هادف وملتزم وأصيل ومتكامل ومتناسق وفعّال ومؤثر .

وقد أحس الكاتب ان الحديث عن الأدب الاسلامي يثير عددا من القضايا لدى دارسي الأدب ، فوقف عند أبرزها ، وبين وجهة النظر الاسلامية فيها . ومن هذه القضايا «الالتزام في الأدب» . يقول الكاتب : «لا ريب في ان الأدب الاسلامي ولد على الالتزام ، ونبت في منابته منذ انطلقت أول قافية على لسان اول شاعر من شعراء الرسول صلوات الله وسلامه عليه في يثرب ، ثم عاش ملتزما طوال تلك القرون التي خلت ، وسيظل ملتزما ـ بتوفيق الله ـ الى ان يرث الله الأرض ومن عليها . فالتزام الأدباء الاسلاميين تم قبل ثلاثة عشر قرنا وربع القرن من قيام الدولة الشيوعية ودعوتها الى الأخذ بمبدأ الالتزام في الادب»[١٠] .

ولكي لا يلتبس أمر الالتزام في الادب يورد الكاتب موازنة بين الالتزام الاسلامي والالتزام الماركسي .

ومن القضايا التي يثيرها الحديث عن الالتزام قضية حرية الأديب ، وهي من القضايا التي شغلت الفكر الانساني طويلا ، وبعد ان يستعرض أقوالا فيها ، ويتحدث عن حرية الرأي في التاريخ الاسلامي فيقول : «ويبدو لنا ان من واجب المجتمع الاسلامي ـ ممثلا بولي الأمر ـ ان يصادر حرية القول التي منحت للأدباء وغيرهم اذا رأى فيها خطرا يهدد سلامة المجتمع وأمنه العقدي أو الاخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي»[١١] .

ويتحدث عن موقف الأدب الاسلامي من مسألة القضاء والقدر في الأعمال القصصية والمسرحية وغيرها .. ويستعرض تاريخ هذه المسألة في الفكر البشري لدى اليونان ثم في المذاهب الأدبية وفي واقع الحضارة الغربية ، ثم يبين أسس التصور الاسلامي للقدر ويقول «ومن هذا الذي اسلفناه تتضح لنا أسس التصور الاسلامي للقدر وما ينبثق عن هذه الاسس من تصورات لا بد للاديب الاسلامي من ان يضعها نصب عينيه في سائر ما يبدعه من اعمال أدبية . فكل ما حفل به هذا الكون انما هو من تقدير العزيز العليم وايجاده .. ولا شيء في هذا الكون يقع صدفة من غير تقدير»[١٢] .

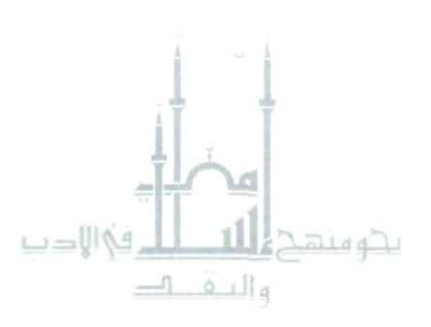
واذا كان من الصراع في الأدب غير الاسلامي ما يقوم بين الانسان والقدر فان هذا الصراع غير موجود في الأدب الاسلامي ، ونجد بدلا عنه الصراع بين الحق والباطل ، والصراع بين الانسان والشيطان ، والصراع مع النفس الامّارة بالسوء واللوامة .

ويعقد الكاتب بحثاً للحديث عن اخلاقية الأدب الاسلامي وموقفه من تصوير الشر والرذيلة . ويعرض مواقف النقاد من هذه القضية ، ثم يبين الموقف الاسلامي فيقول : «ان حرية تصوير الخير والشر مكفولة للأديب المسلم ، ففي وسعه ان يختار ابطاله من الأطهار الابرار ، أو من الاخباث الأشرار ، أو من كليهما معا ، وذلك بشرط واحد ان يكون الاحساس الذي يستقر في نفس المتلقين هو نفس الاحساس الذي يتركه القرآن الكريم في النفوس عند تصويره لهذين الضربين من الناس»[١٣] .

ومن قضايا الأدب الحساسة قضية تصوير العلاقة بين الجنسين ، فما موقف الادب الاسلامي منها ؟ يشير الكاتب الى طغيان أدب الجنس على فنون الأدب بصورة لافتة للنظر ، ويتحدث عن اثر المبادىء الهدامة في نشر الإباحية الجنسية بمناداتها بأن المشكلة الجنسية لا تحل الا باطلاق الغرائز البشرية من عقالها ، وبفتح الأبواب أمامها على مصاريعها . ثم يبين ان «الأدب الاسلامي

١٠ ـ ص/١٢٥ ـ ١٢٦ ، ١١ ـ ص/١٥٠

١٢ ـ ص/١٥٧ ـ ١٥٨ ، ١٣ ـ ص/١٦٥



الذي يعيش ـ دائما ـ في أكناف القرآن ويتفيأ ظلاله الوارفة يستطيع ان يتحدث عن كل علاقة حب نقية لا فسوق فيها ولا عصيان. كما يستطيع ان يتحدث عن أثرها في دفع كل من الذكر والانثى الى إبراز ما يعتمل في نفسه من مشاعر، وما يقوي عزيمته على عقد الرباط المحبب الى الله سبحانه وتوثيقه. كما في وسعه ان يتحدث عن تقلبات هذه العواطف بين التأجج والفتور، والشد والجذب، ما دام ذلك كله يتم في حدود النظافة والنقاء، ويجري على شريعة الله، من احلال الطيبات، وتحريم الخبائث. وكما يستطيع الأديب المسلم أن يتحدث عن مشاعر الحب السامية الرفيعة فانه يستطيع ان يتحدث عن مشاعر الحب المتدنية الوضيعة، ولكن بالشروط التي أوردناها عن الكلام على موقف الأديب الاسلامي من تصوير الشر والرذيلة»[١٤].

ويختم المؤلف كتابه بفصلين عن القصة الاسلامية والمسرحية الاسلامية. وقد تحدث في فصل القصة الاسلامية عن الحاجة الى القصة الاسلامية الحديثة وبيّن ان الدعاة في العصر الحديث لم يلتفتوا الى سلاح الأدب التفاتهم الى سلاح الفكر. وقد تجلى هذا في النقص الشديد في القصص الاسلامية مقارنة بالبحوث والدراسات. وهو يرى ان للقاص المسلم أسوة في قصص القرآن الكريم، والحديث النبوي، بما ورد فيهما من القصص. ثم يحدد للقصة الاسلامية وظائف وأهدافا هي: بث روح الايمان في النفوس؛ ومعالجة القلق الذي هو من الظواهر المعاصرة والانحرافات الاجتماعية، والعمل على تثبيت قلوب المؤمنين في صراعهم مع الشر، وترهيب المنحرفين من عاقبة الضلال، ومعالجة مرض الترف الذي تفشى في المسلمين، والنفوذ الى أغوار النفس وبيان مكان ضعفها وقوتها.

١٤ ـ ص/١٧٧

ويتحدث في الفصل الأخير من كتابه عن «المسرحية الاسلامية» ويقدم تعريفا لها فيقول: «المسرحية الاسلامية فن يقوم على القواعد الاساسية للمسرح مبتعدا عما يخالف الاسلام وقيمه. وهي تعرض على جمهور النظارة شأنا من الشؤون الهامة التي توافق الاسلام أو تخالفه، ليلتزم المشاهدون بما يتفق مع دين الله، ويعرضوا عما يخالفه عن قناعة»[١٥]. ثم يتحدث عن الفرق بين المسرحية والقصة، ويبين عناصر المسرحية الاسلامية من فكرة اساسية، وموضوع ورسم للشخصيات وصراع وحوار.. ويختم هذا الفصل بعنوان هو «نموذج من المسرحيات الاسلامية».

ان الموضوعات التي تصدّى لها المؤلف ذات خطر في ميدان الأدب والنقد، وقد حاول ان يلم بأبرز القضايا النقدية ويقدم التصور الإسلامي لها. وهو لا يكتفي بعرض الفكرة النقدية مجردة، وانما يمثل لها ما وسعه الجهد من النصوص الأدبية. ولكن من الانصاف ان نقول: ان بعض القضايا التي عرضها في فصل او بعض فصل يستحق ان يعرض في كتاب او اكثر عرضا نظريا وتطبيقيا. واذا كان القارىء لا يجد ما يشفي غليله في بعض المواضع فعذر المؤلف فيها انه يشق الطريق فيمن شقوه، ويعبده للسالكين من بعده ليعمقوا النظر في القضايا التي من شأنها ان تقبل الجدل والاخذ والرد.

ولو كان لي رأي لرأيت أن يحذف العنوان الأخير في الكتاب «نموذج من المسرحيات الاسلامية» لأن الكاتب لم يورد مسرحية بل أورد قصة يوسف عليه السلام موزعة في مناظر بلغت ستة وعشرين منظرا. ولكننا بعد ان نقرأها نسأل: هل هذه مسرحية؟ لا بد ان للكاتب، يرحمه الله، وجهة نظر في القضية ولكن عرضه لهذا النموذج من غير تقديم او تعقيب يترك في النفس إشكالاً لا يزول. □

١٥ ـ ص/٢١٣



د. أبو فراس النطافي / أبها

فرحتي جدُّ عظيـمهْ
فرحتي أكبرُ من جرحِ الهزيمهْ
صُبغتْ بالنورِ والحبِّ أغاريدي
وألحـاني الحزينهْ
للشذا ، للزهرِ ، للأطيارِ
للأفقِ الجميـلْ
للحجى ، للفنِ ، للإبداعِ
للفكـرِ المنـيرْ
للفدا ، للعزمِ ، للإقدامِ
للـمـدِّ الكبـيرْ
فاذا أورقَ غصنٌ في الربا
واخضـرَّ عـودْ
والفراشاتُ تلاقتْ ، والصبا رقَّ
وأفشى الطلُّ أسرارَ الورودْ
فرحتي تكبرُ ، والعزمُ يزيدْ
واذا غردَ طيرٌ ، واستفاقَ النحلُ
والظلُّ تهادى في المروجْ
والعناقيد تدلّتْ ، والتقت
في النهرِ حبّاتُ العقودْ
فرحـتي تكبرُ والعزمُ يزيدْ
واذا قهقهَ رعدٌ ، واخْتـفَتْ
في الأفقِ أضواءُ النجومْ
وتلاقى الموجُ ، والبحرُ
تمطى في القيـودْ
فرحتي تكبرُ ، والعزمُ يزيدْ
فالدُّنا حولي زهـورْ
وأغاريدٌ على الأفقِ المنيرْ
ودمٌ حرٌّ ، وقَلبٌ مُستـنيرْ
وبـروقٌ ، ورعـودْ
وفداءٌ يتحدى المُستحيلْ
عُمُرٌ يكتبُ تاريخَ (يبوس)
يزرع الفلَّ على أبوابِ طيبهْ
والسَّنا يرقصُ والدنيا
ربيـعٌ وخريــفْ
مَطَـرٌ .. ثلجٌ عنيفْ
غَمَرَ الربوةَ .. غطّى الدُّورَ
في القدسِ القديـمهْ
وكسا العاملَ والفلاحَ والطفلَ
وأبطالَ الفدا المخنوقِ
أثـوابَ الفتـوحْ
تَحملُ البشرى على سيفِ عمرْ
وتغنى للصباح المنتظرْ
كلما أورقَ غصنٌ في الربا
واخضـرَّ عــودْ
تكبر الفرحةُ والعزمُ يزيدْ



الطبيب مدين القوصوني المصري
الترياق
أجلُّ الأدوية المركبة

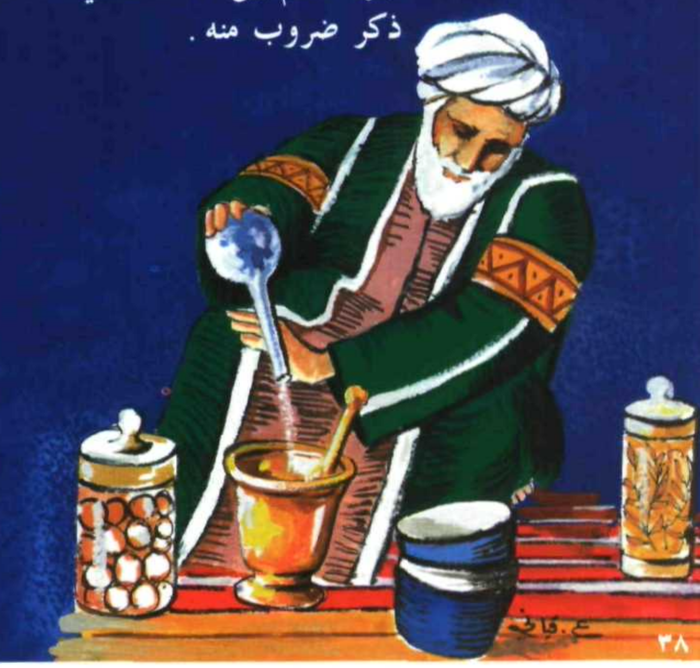
بقلم : الأستاذ فاضل السباعي / سوريا

لو ان باحثاً أراد أن يستقصي ما في « قاموس الأطبّا وناموس الألبّا » من مفردات نباتية ، فيها للانسان نفع على سبيل الغذاء والدواء ، لطال بحثه بقدر ما طال استيفاء مدين القوصوني لمفردات قاموسه !

ولقد زين لنا ما قدمناه ، في الحلقة السابقة ، من النماذج لبعض العقاقير النباتية ، ان نقدم ، الآن ، نماذج أخرى لضرب من النبات ، أو لنوع من الفاكهة ، ليس هنالك احد من الناس لم يطعم صنفا من صنوفه ، فان لم يفعل فهو بالمشاهدة قد عرفه ، وأقله بالسماع ! تلك الفاكهة هي « الحمضيات » .

وعلى ذلك نكون قد سقنا الأمثلة على « النباتي » من « الأدوية المفردة » ، و « الحيواني » قبلها ، فلم يبق الا « المعدني » ، الذي سنأتي هنا على ذكر ضروب منه .





وأما « الأدوية المركبة » ، فانا نعرِّف ، في هذه الحلقة الأخيرة ، بنموذج لأشهر المركبات عند الأقدمين ، وأجلِّها عند الأطباء الأغارقة منذ ما يزيد على ألف سنة سبقت ميلاد عيسى المسيح ، عليه السلام ، هو : « الترياق » !

الدواء في اللب، والحب، والحماض، والقشر، والزهر

لم يكن بد من ان يتوصل الأقدمون الى ان الدواء ـ فضلا عن الغذاء ـ متوافر في ثمار أشجار الحمضيات ، التي عرف العرب منها : الترنج (أو الاترج) والنارنج ، والكباد ، ونقلوها من شرقي الامبراطورية العربية الاسلامية ، أو مما وراء حدودها الشرقية ، الى أواسط الامبراطورية ، ثم الى الغرب الاسلامي ، ومن هنالك تسربت الى الغرب .

★ **التُرنج** ، بضمتين ، والأُترُج بالضم : ثمر ذهبي اللون ، مختلف الشكل ، معروف ! واحدته ترنجة واترجة . قشره مفرح ، يطيِّب النكهة ، ويقوي المعدة ؛ ولحمه غليظ بطيء الهضم ، رديء للمعدة ، مولد للقولنج ؛ وحمَّاضه يقمع الصفراء ، ويحبس البطن ، ويسكن الخفقان ، ويجلو الكلف ، وينفع من القوباء اذا دلك به ومن اليرقان اذا اكتحل به ؛ وبزره يقاوم السموم كلها شربا وطلاء ، وخاصة من لسع العقارب اذا شرب منه وزن مثقالين بالمطبوخ أو بالشراب ، وكذلك اذا دق ووضع على اللسعة (١:٨٣) .

★ **النارنج** ، بفتح النون والراء ، معرَّب نارنك : ثمر معروف ! قشره اذا جفف وشرب منه وزن درهمين بماء حار حلل المغص ، (واذا نقع) في دهن وشمّس ثلاثة أسابيع قام مقام دهن الناردين ، ونفع من نهش الهوام الباردة السم ؛ وحماضه ينفع من التهاب المعدة الحارة ؛ وزهر شجرته يقوي الدماغ شما ، ويحلل الرياح شرباً ، ويدر الطمث حمولا ؛ ويستقطر منه ماء زكي الرائحة عطر ، ينفع من الصداع والخفقان الباردين وغيرهما من الأدواء الباردة ، ويقوي ويفتح السدد ؛ ومضرته بالصدر والعصب ؛ ويصلحه العسل ، وبدله الأترج (١:١٠١) .

★ **الكبَّاد** ، ككتان : ثمر معروف ! يقول القوصوني : « ولم أر من ذكره من أئمة اللغة ولا من الأطباء ، والذي نذكره الآن ، مما يتعلق به طبعا ، فانما هو بطريق الاستقراء » ... وقال : « اما ماهيته : فهو نوع من النارنج ، لشبهه به قشرا وحماضا ؛ واما منافعه : فقشره الأعلى الرقيق ، وكذلك قشره الغليظ الذي يليه ، كل منهما يحلل الرياح ، ويقوي المعدة والكبد ، ويهضم الطعام ، ويفرح القلب لتقويته للروح بعطريته ، وكل مقو للروح فهو يقاوم السموم ؛ واما حماضه فيقمع الصفراء ، ويقطع القيء ، ويقوي المعدة ؛ واما حبه فينفع من السموم ؛ وأما كيفية ما يستعمل فيختلف : فقشره الأعلى يجفف ويستعمل في السفوفات والمعاجين ونحوها ؛ وأما الذي يليه فيسلق ، ثم يربى بالحلو ، ويستعمل كالمربيات ؛ واما حماضه فيعصر ويتخذ من مائه شرابا ؛ واما مضرته فقشره يضر الامزجة الحارة ، وحماضه يضر بالاعصاب ؛ واما بدله فالنارنج (١:١٤٢) .

خواص الأدوية المعدنية

ان الأدوية المفردة ـ عدا المركبة ـ هي : نباتية أو حيوانية أو معدنية . وما كان منها من المعدن ، فان القدماء كانوا يتطببون به ويؤمنون بخواص فيه تنفع العليل وتقي السليم ، كما تفيد في الصناعة وفي استعمالات شتى ، وهي كثيرة جدا ، اهتموا بها وألفوا الكتب في تعدادها وبيان صفاتها وذكر منافعها وخواصها . ومما أتى « قاموس الأطبا .. » على التعريف به منها :

★ **السُنباذج** ، بالضم وبالذال المعجمة المفتوحة ، معرَّبه سنباذه : اسم لحجر كأنه رمل مجتمع ، وقد يصلب جدا ... وفعله مسحوقا أقوى من فعله كما هو . وفيه

جلاء قوي للسيوف ونحوها ، وفعله بالماء أقوى . ذلك عن فائدته في الصناعة .

واما نفعه في الطب ، فانه تجلى به الأسنان فينقيها ، واذا حرق وسحق وذر على القروح ادملها وابرأها (١ : ٩٠) .

★ **الشاذنج** ، معرّب شاذنه بالفارسية : حجر أحمر اللون ، ينفع من (نزف) الدم ونفثه ، ولذلك يقال له « حجر الدم » ، وافضله السريع التفتت ، الخالي من الوسخ ... ينفع من أمراض العين الحارة ببياض البيض ، و (الامراض) الباردة بماء الحلبة ، ومن خشونة الأجفان مدافا بالماء تقطيرا فيها ... وينفع من الرمد والطرفة مع اللبن ، والشربة منه للنزف من نصف درهم الى مثقال .

ومنه صنف يشبه العدس ، يعرف بـ « الشاذنة العدسية » ، ينفع من القروح ، وخصوصا قروح السفل (١ : ٩٣) .

★ **اليشب** ، معرّب : حجر معروف ! اليشم . زعم قوم انه جنس من الزبرجد ، منه ما يميل الى الخضرة الصافية ، ومنه ما يميل الى الزرقة والكثافة ، ومنه ما فيه عروق بيض شفافة وهو « الكوكبي » .

يقطع نفث الدم ، وقد يرادُ العين (أي يرد ما يعتقد من قدرتها على ان « تصيب » بأذى !) .

★ **الذهب** : معروف ! وهو مفرح مقو للقلب ، دافع لهمه وحزنه ، نافع من الخفقان والوسواس ، مقو للعين كحلا ، مزيل لبخر الفم إمساكا فيه ؛ والشربة منه قيراط . ومضرته بالمثانة ، ويصلحه المسك والعسل ، وبدله الياقوت ، أو ضعفه فضة ! (١ : ٣٠) .

★ **الماس** : اسم عجمي لحجر متقوِّم (أي ذي قوام متماسك) ، اعظم ما يكون منه كالجوزة . وهو انواع : هندي ، وهو شديد البياض ؛ وماقدوني ، وهو دون الهندي في اللون وفوقه في العظم ! وحديدي ، وهو كالحديد لونا وثقلا ؛ وقبرسي ، وهو يشبه الفضة ، وبعضهم يجعل هذا نوعا برأسه لأن النار تعمل فيه ولا يعمل فيه الحديد .

والماس لا تعمل فيه نار ولا حديد ، ويكسر جميع الأجساد الحجرية ، وانما يكسره الرصاص وبه يسحق ، ثم يوضع في رؤوس المثاقب ليثقب به الدر وغيره ... وامساكه في الفم يكسر الاسنان . ونصف درهم منه قاتل بالتقطيع ! (١ : ٢٢٠ و ٢١) .

★ **الرصاص** ، كسحاب ولا يكسر : أحد المعادن السبعة ، وهو نوعان : أسود ، وهو الاسربّ ، والآنك والابار ، وابيض ؛ وهو القلعي والقصدير . والأسود اذا اخذت منه صفيحة ووضعت على نتوء العصب الملتوي حللته ، وان وضعت في قدر لم ينضج لحمها ، وان طوقت شجرة بطوق منه لم يسقط ثمرها ! (١ : ٢٣٤) .

«الترياق الفاروق» العجيب !

فأما الأدوية المركبة فأشهرها عند الأقدمين ، أطباء وملوكا : الترياق ـ Theriocca ، عرّف به القوصوني في مادة « ت ر ق » ، قال : « الترياق ، بالكسر : اسم يوناني مركب لدواء مركب تركيبا صناعيا ، من شأنه اذا ورد على بدن الانسان : تقوية الروح الحيواني ، والحرارة الغريزية ، وحفظ الصحة ، وازالة المرض ، والتخلص من السموم الحيوانية والنباتية والمعدنية ! اخترعه « اندروماخس المتقدم » ، وتممه « اندروماخس المتأخر » بزيادة لحوم الأفاعي فيه ، وأظهر فعله وحرر وزنه « جالينوس » . و « المتقدم » هو الذي سماه بـ « التّرياق » لأنه نافع من نهش الحيوانات ذوات السموم ، واسمها باليونانية « تريا » ، ونافع من السموم المشروبة القتالة واسمها باليونانية « قا » ممدودة ، ثم خفف وعرِّب واطلق على كل ما يقاوم السموم ؛ والمتأخر هو الذي لقبه بـ « الفاروق » ، لأنه يفرّق بين السموم وطبيعة البدن » .

ويسترسل القوصوني فيرزي لنا كيف تم اختراع هذا الدواء العجيب في بلاد اليونان . ذلك ان « اندروماخس المتقدم » اتفق له ان رأى ، وهو في بعض

أسفاره ، غلاما قد خرجت عليه حية مغيرة لسعته في ابهام رجله ، فبادر الغلام الى قتلها ، ثم عمد الى شجرة غار أخذ يأكل من حبها ، وأجاب ـ لما سأله «اندروماخس» عن سبب اكله لها ـ أن ذلك «يقاوم سموم الحيات ، وان ابي يدقه بمثله عسلا منزوع الرغوة ، ويسقي منه أربعة مثاقيل للملدوغ فيبرأ» ..

ولما رجع «اندروماخس» الى مدينته ، جرب ذلك ، فوجده ينفع من لدغ الحيات والعقارب الصغار ... ثم جاء بعده غيره من الأطباء ، وغيره ، وغيره ... وكل يزيد من مفرداته . وأخيرا جاء «اندروماخس المتأخر» فزاد بقية مفرداته ، وزاد أقراص الأفاعي وبها تم الغرض الأعظم . ثم جاء «جالينوس» فأظهر فضل التِّرياق وحرر وزنه . وكان بين «اندروماخس المتقدم» الى وفاة «جالينوس» ألف وأربعمائة وخمس وثمانون سنة !

وقد اعتقد الأطباء العرب ، فيما أخذوه عن الاغريق ، ان «الترياق الفاروق» هذا من أجلِّ الأدوية المركبة وأفضلها لكثرة منافعه ، وخصوصا في السموم من النواهش والعقارب ، والكلب الكلِب ، والسموم المشروبة القتالة ، وكذلك من امراض الفالج ، والسكتة ، والصرع ، والوسواس ، والجذام ، ومن الجنون خاصة ، وهو يشجع القلب ، ويسهل النفس ، ويذهب الخفقان ، ويحبس نفث الدم ، وينفع من اكثر اوجاع الكُلَى والمثانة ، ويفتت الحصاة ... وخير النسخ لهذا الدواء هي النسخة الأصلية لأندروماخس .

وقال الأطباء : ومما يفرِّق بين جيده من رديئه ان يسقى انسان دواء مسهلا ، ثم بعد اسهاله يسقى من الترياق قدر «الحب» المستعمل له ، فان حسن اسهاله فهو جيد ، والا فهو رديء !

وقيل : ان للترياق الطفولية ، والترعرع ، والشباب ، والشيخوخة ، والموت . فيصير الترياق طفلا بعد ستة اشهر أو بعد سنة ، ثم يأخذ في الترعرع والتزيد ، الى ان يقف بعد عشر سنين أو عشرين ... ثم ينحط ... ثم تنسلخ عنه الترياقية ، إما بعد أربعين سنة أو بعد ستين ، ثم يصير كأحد المعجونات المنحطة عن درجة الترياق (١:٢٩١ ـ ٩٤) .

وما نحرص على التنويه به ، هنا ان فعل «الترياق» العجيب ، لم يكن مسلما به على اطلاقه من قبل الأطباء العرب والمسلمين دائما . وقد سجلنا ، ونحن نطالع «قاموس الأطبا ..» ، ملاحظة عارضة وردت في مادة «ب ن ن» ضمن رأي لطبيب مصري يجله مدين الإجلال كله ، هو رئيس الأطباء في القسطنطينية «بدر الدين محمد القوصوني» (المتوفى سنة ٩٧٥ هـ) ، وقد كان طبيبا للسلطان العثماني سليمان الثاني . يقول القوصوني بدر الدين في «القهوة» ما اذا كان شربها مضرا أو لا : «... ليس يمكننا الحكم على دواء من الأدوية بأنه نافع مطلقا ولا بأنه ضار مطلقا في كل حال ، بل ان اثبتنا له نفعا في بعض الأحوال فلا ينافي ذلك ان يكون له مضرة في حال اخرى وان يكون غيره انفع في تلك الحالة ؛ ونوضح ذلك بمثال ، فنقول : «الترياق الفاروقي» قد أجمع الأطباء على انه اعظم الأدوية ، ومع ذلك لا يقال بنفعه مطلقا في كل حال ، بل بعض الأدوية المبردة ، كبزرقطونا ، للمحمومين انفع منه بكثير ...» ! (٢:١٣٩ و ٤٠) .

وننوه أيضا ، بأننا كنا ، في حديثنا عن «المُخَلِّصة» ، قد تعمدنا ان نرجىء الاستشهاد بما أورده مدين القوصوني عن التميمي في رسالته التي صنفها في التِّرياق ، قال : «ومذاهب من يدخلها (أي المخلصة) في الترياق جعلها في ثاني طبقة ، وهي طبقة دهن البلسان ؛ ومن احب ان يستعملها مفردة بسيطة فعل ، فانه يجد لها من الفعل ما يستغني به عن التِّرياق ، بمشيئة الله» (١:٢٣٤) . والآن ، في مفردة التِّرياق ، يذكر مدين ان التميمي زاد على التِّرياق «بعض مفردات ، أحسنها وأفضلها وأنسبها ان يؤخذ من المخلصة اثنا عشر مثقالا» (١:٢٩٣) .

تعمدنا الإرجاء هناك . ولكنا ، هنا ، نذكر بما سبق حديثنا فيه ، من ان الصيدلاني الاندلسي «ابا

العباس النباتي »، المعروف بـ « ابن الرومية » (ت ٦٣٧ هـ)، في اثناء مروره بمصر، في « رحلته النباتية » الشهيرة من بلده اشبيلية الى أقطار المشرق، قد استبقاه الملك العادل، صاحب مصر، عنده مدة، فجمع له « التِّرياق الكبير » وركبه، وذلك قبل مغادرته القاهرة متوجها الى الديار المقدسة.

هذه لُمَعٌ من علم أجدادنا، اقتطفناها مما حفل به معجم الطبيب مدين القوصوني المصري: « قاموس الأطبّا وناموس الألبّا ».

وهذه المقتطفات، الى كونها جزءا من المعارف التي حصلها القدماء وطفقوا يزيدون فيها بالملاحظة والتمحيص والتطوير، فان فيها، لكذلك، نكهة طيبة هي عبير التراث المنبعث من الماضي.

ولكنه علم يحتاج، بعد كل شيء، الى متخصصين معاصرين، أوفياء لتأريخهم بقدر استيعابهم للعلوم الحديثة، يقوم كل منهم بدراسة الجانب الذي يعنيه، فيخلصه من شوائب الخطأ والمبالغة والخرافة، نافضا عن صحيحه متراكم الغبار، ليجعله صالحا لأن ينتفع به الناس في عصر اكتشاف البخار، والكهرُباء، والالكترون، والنزول على سطح القمر، الذي هو، ايضا، زمن زرع القلوب والأعضاء في جسم انسان القرن العشرين! □

المصادر والمراجع

* كتاب « التيسير في المداواة والتدبير »، عبدالملك بن زهر الاندلسي (ت ٥٥٧ هـ)، تحقيق الدكتور ميشيل الخوري، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، مطبعة دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
* « اقرباذين القلانسي »، ابن بهرام القلانسي السمرقندي (ت حوالي ٥٦٠ هـ)، تحقيق الدكتور محمد زهير البابا، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
* « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » (أربعة أجزاء في مجلدين)، ضياء الدين بن البيطار المالقي (ت ٦٤٦ هـ)، طبعة مصورة، دار المدينة (د. ت)، عن طبعة القاهرة، ١٢٩١ هـ/١٨٧٤ م.
* « عيون الأنباء في طبقات الأطباء »، ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ)، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت (د. ت).
* « قاموس الأطبا وناموس الألبا » (جزءان) (ت بعد ١٠٤٤ هـ)، مخطوط، مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٩ و ١٤٠٠ هـ /١٩٧٩ و ١٩٨٠ م.
* « الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة » (ثلاثة أجزاء)، نجم الدين الغزي (ت ١٠٦٠ هـ)، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٤٥ ـ ٥٩.
* « خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا »، أحمد شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ)، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق، الرقم ٧١٠٩.
* « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » (أربعة أجزاء)، محمد الأمين المحبي (ت ١١١١ هـ)، طبعة مصورة، بيروت (د. ت)، عن طبعة القاهرة ١٣٨٤ هـ (١٨٦٩ م).
* « معجم أسماء النبات »، الدكتور احمد عيسى، طبعة مصورة، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، عن طبعة القاهرة ١٩٣٠ م.
* « تاريخ البيمارستانات في الاسلام »، الدكتور احمد عيسى، طبعة مصورة، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، عن طبعة دمشق ١٣٥٧ هـ (١٩٣٩ م).
* « معجم الأطباء »، الدكتور احمد عيسى، طبعة مصورة، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، عن طبعة القاهرة ١٩٤٢ م.
* « معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية » (انكليزي ـ عربي)، إعداد أحمد شفيق الخطيب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م (نواة المادة العربية في المعجم من وضع وتحقيق الأمير مصطفى الشهابي).
* « الإبداع الزراعي في بدايات العالم الاسلامي »، الدكتور اندريو واطسون، ترجمة الدكتور احمد الاشقر، مراجعة الدكتور محمد نذير سنكري، منشورات معهد التراث العلمي بجامعة حلب، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
* « من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول »: محمد الامين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر »، الدكتورة ليلى الصباغ، نشر الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.



شعر: محمد إياد العكاري/الهفوف

حتى متى نمضي بغيرِ تلاقِ ... ومتى الوئامُ يؤوبُ للاشراقِ
ومتى الوصالُ يمدّنا بسعادةٍ ... من بعد لأي النأي والارهاقِ
او ما كفى ليلُ العناءِ مكبلاً ... ردحاً من الأزمانِ في الأطواقِ
او ما كفى قلبُ المعنى لاهباً ... بمجامرِ التحنانِ والأشواقِ
أوَ ما كفى جفنُ الكرى في صحوةٍ ... أوَ ما بدا عرسِ النوى بتلاقِ
لجميلِ طلّاع المحيا وجهُهُ ... لمجيدِ طبّ العين والأحداقِ
لرفيقِ دربٍ والأنيس بِجلسةٍ ... وشقيقِ روحٍ توأمي وعناقي
لزميلِ راحلةٍ بأيامِ الصبا ... وجليسِ مدرسةٍ وألفِ رواقي
لأخي الحبيبِ بغربتي وبموطني ... ولصاحبي في محفلي وفراقي
ذكراهُ في الشام الحبيب يهدّني ... فبيتنا فيضُ الندى وسواقي
وبظلّهِ نبعُ الحَنان وألفةٌ ... وبروضهِ معنى الإخاءِ الراقي
ولأسرةٍ يغلي الحنينُ فؤادَهُ ... ويشفُّ شوقا قلبهُ لِرواقي
متذكرا قصصاً بهِ ، متجولا ... بفنائهِ ، متخيلا لرفاقي
قصصاً به بنهارهِ وبليلهِ ... قصصُ الطفولة أشعلتْ اشواقي
قصصُ النضارةِ والشبابِ بجمعهم ... قصصُ المحبةِ والشقاقِ تلاقي
حنوَ الجذوعِ على الفروعِ وأصلِها ... ميسَ الغصونِ برائعِ الإيراقِ
لقيا الفروعِ بزهرها وأريجها ... نغمِ الحفيفِ بنسمةِ الخلّاقِ
فَتَدفّقَ القلبُ المحبُ بشوقهِ ... وتفطّرَ الكبدُ الحنونُ بباقِ
وتعانقتْ أطيافُ روحي حلّقتْ ... فوقَ الشآم ومائها الرقراقِ
فأريجُ جنّات الحِمىٰ متفوّحٌ ... ونسيمُ عطرِ الشامِ في الآفاقِ
فلإخوتي والأهلِ كل تحيتي ... ومحبتي ومودتي ووثاقي
وتشوقي وتلهفي ولتوأمي ... يبقى يجولُ بقلبي الخفاقِ
وتزيني يا شامُ حبّك دائما ... في القلبِ في روحي فهاكِ صداقي





تعريف بصورة الأرض
للشريف الإدريسي
بقلم: د. عبدالعزيز عبدالله اللعبون / الظهران
جبل القمر وهو منبع النيل
البحر الرومي
البحر الشامي

صورة الأرض للإدريسي

تعتبر صورة الأرض التي رسمها «الشريف الادريسي» سنة ٥٤٨ هـ هي قمة ما وصل اليه علم الجغرافيا في القرن الثاني عشر للميلاد وهي أول خارطة كاملة رسمت للأرض . ويرجع الفضل الى حصولنا على هذه الصورة الى المستشرق الالماني كونراد ميللر (١٨٤٤ - ١٩٣٣ م) الذي جمع ودرس وشرح الخرائط العربية بعد ان صورها من المخطوطات الأصلية المتفرقة ونشرها في ستة مجلدات ضخمة في شتوتغارت ما بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٣١ م ، بعنوان « الخرائط العربية » . كما قام ميللر بتجميع صورة الأرض من السبعين خارطة الملحقة بكتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للادريسي وجعلها في خارطة كبيرة واحدة بطول مترين وعرض متر ونشرها سنة ١٩٢٨ م باللغة اللاتينية وبالألوان .

النسخة التي بين أيدينا

قام الاستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي عضوا المجمع العلمي العراقي باعادة الخارطة التي نشرها المستشرق ميللر الى أصلها العربي بعد ان قاما بتحقيقها وتحريرها اذ رجعا في ذلك الى خمس نسخ مصورة من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للادريسي وطائفة من كتب العرب الجغرافية . ووضعا ما استدركاه على المستشرق ميللر بين معكوفتين [ ] واختلاف نسخ الكتاب عما دونه بين قوسين صغيرتين « » تمييزا لهاتين القوسين ( ) اللتين استعملهما أحيانا . وقام السيد احمد علي خان برسمها والأستاذ محمد بهجة الأثري بكتابتها بخطه . وطبعت بمطبعة مديرية المساحة في بغداد سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) . وقام المجمع العلمي العراقي بنشرها . واعادت نقابة المهندسين العراقية وبمساندة من مؤسسة كولبنكيان طبع هذه النسخة بمطبعة دار الجمهورية في بغداد سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) .

الشريف الإدريسي
٤٩٣ - ٥٦٠ هـ / ١١٠٠ - ١١٦٥ م

الادريسي كما نسبه المؤرخ الصفدي هو « محمد ابن محمد بن عبدالله بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود ابن ميمون بن احمد بن علي بن عبيدالله بن عمر بن ادريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن ابي طالب (الشريف الادريسي) » . ولد الادريسي في بلاد المغرب بمدينة سبتة سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) وتلقى دراسته الأولية فيها ثم انتقل الى قرطبة بالأندلس حيث أكمل دراسته العليا في الجغرافيا والطب . ويذكر الصفدي ان الادريسي كان اديبا ظريفا شاعرا مغرما بعلم الجغرافيا كما نشر له بعض أبيات من شعره يستشف منها نزعة اليأس الغالبة على نفسه بسبب تغربه وبعده عن وطنه . كما ذكر ابن ابي أصيبعة ان الادريسي كان فاضلا عالما بالأدوية المفردة ومنافعها ومنابتها وأعيانها .

أما عن تحديد مكان وزمان وفاة الادريسي فقد اختلف المؤرخون في ذلك الا ان اكثرهم قد حدد وفاته بسنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) في مسقط رأسه سبتة بينما يرى البعض انه توفي في صقلية .

المؤرخون والإدريسي

مما يلفت الانتباه عند استعراض حياة الادريسي قلة ذكره من قبل المؤرخين واهمالهم له ولأعماله اذ لم يترجم له الا الصفدي في معجمه « الوافي بالوفيات » وابن ابي اصيبعة في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » مما حدا ببعض المستشرقين أن يبرر ذلك لأسباب عديدة أهمها أن المؤرخين المسلمين نقموا عليه لذهابه الى ملك صقلية النورماندي المسيحي روجار الثاني وخدمته لأعداء المسلمين في الوقت الذي كانت فيه الحروب الصليبية سجالا بين المسلمين والنصارى في مشرق العالم الاسلامي ومغربه .

مؤلفـــات الإدريسي

بجانب كتاب الادريسي ذائع الصيت « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ينسب له كتب أخرى منها « الجامع لصفات أشتات النبات » و « روض الأنس ونزهة النفس » و « انس المهج وروض الفرج » و « جني الأزهار من الروض المعطار » و « الأدوية المفردة » و « جنان الانسان وعجائب النفس » أو « جنان النعيم » .

أسلوب الإدريسي وطريقته في إنجاز أعماله الجغرافية

لم يكتف الادريسي بالمراجع التي كانت تحت تصرفه والتي ذكرها في مقدمته، بل كان يتوخى الحصول على معلومات موثقة من مصادرها بالمعاينة والمشاهدة والتدقيق الشخصي سيما في المناطق الشمالية البعيدة في اوربا والتي لم يسبقه احد من الجغرافيين المسلمين الى تناولها بالبحث . ويذكر الصفدي بهذا الصدد ما نصه : « فوقع اختيارهما (الادريسي والملك روجار) على أناس ألِبَّاء فطناء أذكياء، وجهزهم روجار الى أقاليم الشرق والغرب والجنوب والشمال . وسفّر معهم قوما مصورين ليصوروا ما يشاهدونه عيانا وأمرهم بالتقصي والاستيعاب لما لا بد من معرفته . فكان اذا حضر أحدهم بشكل اثبته الشريف الادريسي حتى تكامل له ما اراد، وجعله مصنفا، وهو كتاب « نزهة المشتاق » . وبهذا الاسلوب من البحث العلمي يعد الادريسي اول من جمع معلومات هائلة عن تلك المناطق وذلك بايفاد البعثات الاستكشافية حتى يتحقق له خبر البلاد بالمعاينة لا بالنقل من الكتب . كما وان الادريسي هو الذي ابتكر وطوَّر اطلس الاسلام الى اطلس العالم وبهذا الصدد يقول الدكتور احمد سوسه مؤلف كتاب « الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية » عن اسلوب الادريسي العلمي ما نصه « لقد اتبع الادريسي في منهجه لانجاز اعماله الجغرافية الطريقة العملية العلمية الصحيحة التي تتبع عادة في التحقيق العلمي في عصرنا الحاضر . وقد ساعدته الظروف فتهيأت له الوسائل اللازمة لتحقيق مشروعه العظيم الذي استغرق خمس عشرة سنة . ويتميز مشروعه في كونه حدثا علميا مهما، فلأول مرة في تاريخ الجغرافيا يتقدم جغرافي عربي بمصنف جغرافي يشمل جميع اقطار المعمورة ومن ضمنها شمال اوربة وبلاد الافرنج بوجه عام بعد ان كانت اعمال الجغرافيين العرب مقتصرة على العالم الاسلامي فقط . وتظهر عبقرية الادريسي بشكل واضح في منهجه العلمي الذي كان يريد ان يحقق به الحصول على معلومات جديدة لم يطرقها غيره من قبل، فانتهز هذه الفرصة السانحة باستخدام نفوذ الملك روجار في اوربا لتحقيق المشروع الذي رسمه في مخيلته وبدأ بتنفيذه مواصلا عمله بدون ملل أو كلل السنوات الطوال حتى تم له ما اراد » .

مراحل أعمال الإدريسي في إعداد صورة الأرض

المرحلة الأولى : إعداد لوح الترسيم :

وهي الخارطة الأساس أو القاعدة التي رسم عليها خطوط الطول والعرض وبدأ بتثبيت مواقع البلدان والأنهار والجبال والبحار والخلجان والبحيرات حسب مواقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض بعد مراجعة كتب الأقدمين واختبار ناقلي المعلومات والتأكد من صحتها . كما وان الادريسي لم يعتمد فقط على من أوفدوا لجمع المعلومات بل استعان بالتجار والمسافرين والملاحين . وتمثل الخارطة التي بين ايدينا الآن لوح الترسيم الذي اعتمد عليه الادريسي في وضع المعلومات على الكرة الفضية .

المرحلة الثانية : صنع الكرة الفضية للعالم :

بعد أن اكتملت المعلومات على لوح الترسيم نقل الادريسي هذه المعلومات الى كرة صنعت من الفضة . وهنا نسرد ما ذكره الادريسي عن تلك الكرة الفضية، « أمر ان يفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الجرم، ضخمة، تزن أربعمائة رطل رومي، في كل رطل منها مئة درهم واثنا عشر درهما، فلما كملت أمر الفَعَلة ان ينقشوا عليها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وسيفها وريفها، وخلجانها وبحارها، ومجاري مياهها ومواقع أنهارها، وعامرها وغامرها، وما بين كل بلدين منها وبين غيرها من الطرقات المطروقة والأميال المحدودة، والمسافات المشهورة، والمراسي المعروفة على نص ما يخرج اليهم ممثلا في لوح الترسيم ولا يغادروا منه شيئا ويأتوا به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه » . وكانت هذه أول كرة دقيقة ترسم للأرض ومع ان هذه

الكرة فقدت ولم تصلنا الا ان الادريسي قد رسم في مقدمة كتابه « نزهة المشتاق » صورة الأرض وقد أظهر عليها خط الاستواء وخطوط العرض على شكل دوائر لا خطوط مستقيمة اذ ان الادريسي بنى جغرافيته على أساس مفهوم علمي صحيح قائم على مبدأ كروية الأرض وتقسيم الأقاليم المناخية عليها .

المرحلة الثالثة : إعداد كتاب « نزهة المشتاق » :

بعد انتهاء تجميع المعلومات ونقلها الى الكرة الفضية شرع الادريسي بتحرير كتابه الذي جعله « مطابقا لما في اشكالها وصورها (الكرة الفضية) ، غير انه يزيد عليها بوصف احوال البلاد والأرضين في خلقها وبقاعها وأماكنها وصورها وبحارها وجبالها وقفارها ومزروعاتها وغلّاتها والمتاجرات التي تجلب اليها وتحمل منها والعجائب التي تذكر عنها وتنسب اليها وحيث هي من الأقاليم السبعة ، مع ذكر أحوال أهلها وهيئاتهم وخلقهم ومذاهبهم وزيهم وملابسهم ولغاتهم » . وقد أسماه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » .

المرحلة الرابعة : اعداد الخرائط الملحقة بالكتاب :

اعداد هذه الخرائط ومدى صحتها يعتمد على المفهوم العام لهيئة الأرض ، ولكل من هذه الأقسام خريطة توضح ما في داخلها من مدن وجبال وبحار وجزر وأنهار وطرق مواصلات ذاكرا في الكتاب ما يعزز ذلك من معلومات عن السكان والأجناس والعادات والحيوانات والصحارى وثروة الأقاليم والصادرات والواردات والخواص الطبيعية للمعادن والنبات وغيرها . وبهذا يكون الادريسي قد أعدَّ سبعين خريطة ملحقة بكل قسم من أقسام الأرض ألحقها بكتابه نزهة المشتاق . وكان فراغه من مشروعه الكبير في عمل خرائطه ووضع كتابه باللغتين العربية واللاتينية في شهر شوال لسنة ٥٤٨ هـ الموافق للعشر الأول من يناير لسنة ١١٥٤ م ، قبل وفاة الملك روجار الثاني بفترة قصيرة ، وقد استغرق ذلك الجهد من العمل الدؤوب خمسة عشر عاما .

المفهوم الجغرافي للإدريسي

يقول الادريسي في مقدمة كتابه : « ان الأرض مدورة كتدوير الكرة والماء لاصق بها وراكد عليها ركودا طبيعيا لا يفارقها ، والأرض والماء مستقران في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة ووضعهما وضع متوسط والنسيم محيط بهما من جميع جهاتهما وهو جاذب لهما الى جهة الفلك وذلك لشدة سرعة حركة الفلك وجميع المخلوقات على ظهرها . والنسيم جاذب لما في ابدانهم من الثقل بمنزلة حجر المغنطيس الذي يجذب الحديد اليه ، والأرض مقسومة بقسمين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب ، وهذا هو طول الارض وهو اكبر خط في الكرة » .

قَسَّمَ الادريسي العالم الى سبعة أقاليم مناخية على شكل أحزمة مستطيلة أفقية تبدأ بخط الاستواء ومرتبة من الجنوب الى الشمال بموازاة خط الاستواء . كما قسم الخريطة الى خطوط طول تبدأ من المغرب عند الجزائر الخالدات (الكناري) ببحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وتنتهي بالمشرق عند بحر الصين . وبهذا اختلف عمن سبقه حيث جعلوا بداية الأقاليم تؤخذ من المشرق الى المغرب .

إستعانته بمن سبقه

ذكر الادريسي في مقدمة كتابه انه استفاد ممن سبقه من الجغرافيين واستعان بعلومهم وقلّد ما وصلوا اليه من مفاهيم عن الأرض وكرويتها وتقسيم اقاليمها ومن ذلك ظهر التشابه الكبير في وصف الادريسي للأرض وما ذكره الجغرافي ابن خرداذبة المتوفى سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٢ م) . كما وانه اعتمد على الخوارزمي المتوفى سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) في تقسيم الأرض الى أقاليم مناخية . ونقله عن الاصطخري والجيهاني وكذلك اعتمد على نظريات الاغريق عن الارض وعلاقتها بالفلك والمتمثلة بآراء فيثاغرس وبارمينيدس وهرقليدس وبطليموس وعلى أعمال الجغرافيين المسلمين . ومن هؤلاء الجغرافيين الذين ذكرهم : المسعودي والعذري والحوقلي والكيماكي والقردي واليعقوبي والمنجم والبصري والاقلوذي والأنطاكي وغيرهم .

مصطلحات

اعتاد الجغرافيون المسلمون على إطلاق لفظ صورة على ما نعرفه اليوم بالخريطة وكذلك استعملوا لفظ لوح الرسم ولوح الترسيم واللوح الجغرافي بنفس المعنى اما لفظ خريطة فهو لفظ حديث يرجع الى عهد



محمد علي بتعريب المصريين كلمة « كارت Carte » الفرنسية . أما مصطلح جغرافيا اليوناني فقد استعمله مارينوس الاغريقي في اوائل القرن الثاني للميلاد وترجمه العرب الى « علم الأطوال والعروض » أو « علم تقويم البلدان » . أما لفظة اقليم فهي كلمة معربة من « Klima » اليونانية والتي تعني « مناخ ـ Climate » وقد شاع هذا المصطلح عند تقسيم الأرض الى نطاقات مناخية .

الخريطة مقلوبة

تبدو خريطة الادريسي وخرائط الجغرافيين المسلمين الأوائل مقلوبة بالنسبة لخرائط الوقت الحاضر ومع انها تبدو لنا كذلك الا ان هذا لا يغير من صحتها ووضع الأماكن بالنسبة للاتجاهات الجغرافية . ويعلل البعض ان سبب وضع الشمال اسفل الخريطة لتحاشي ان يعلو جزيرة العرب حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة بلدان .

إستعمال الألوان

استعمل الجغرافيون الأوائل الألوان في خرائطهم فقد قدم الخوارزمي وصفاً للأصباغ المستعملة في أعماله وكذلك المقدسي . واستخدم الادريسي الألوان في خرائطه اذ ظهرت البحار باللون الأزرق والأنهار باللون الأخضر والجبال بالألوان الأحمر والبني والأرجواني وجعل المدن على هيئة دوائر مذهبة .

الخاتمة

لقد حفّز طبع خريطة الادريسي الدكتور احمد سوسة ، بالقيام بدراسة تحليلية علمية لمكانة الشريف الادريسي في الجغرافيا والكارتوغرافيا . ونشرت النقابة المذكورة تلك الدراسة سنة ١٩٧٤ م بعنوان « الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية » .

وهي من أحسن الدراسات الحديثة في هذا المجال اذ قام بتقسيمها الى بابين جعل الأول كتوطئة تناول بها تطور علم الجغرافيا منذ نشأته حتى عصر الادريسي وأسماه « المدخل الى عصر الادريسي » والثاني خصصه لمكانة الادريسي وما اقتبسه من أسلافه ومعاصريه وما ابتكره من انجازات علمية وأسماه « عصر الادريسي » . وقد أخذت من هذه الدراسة جل مادة هذا التعريف بالادريسي وصورته للأرض .

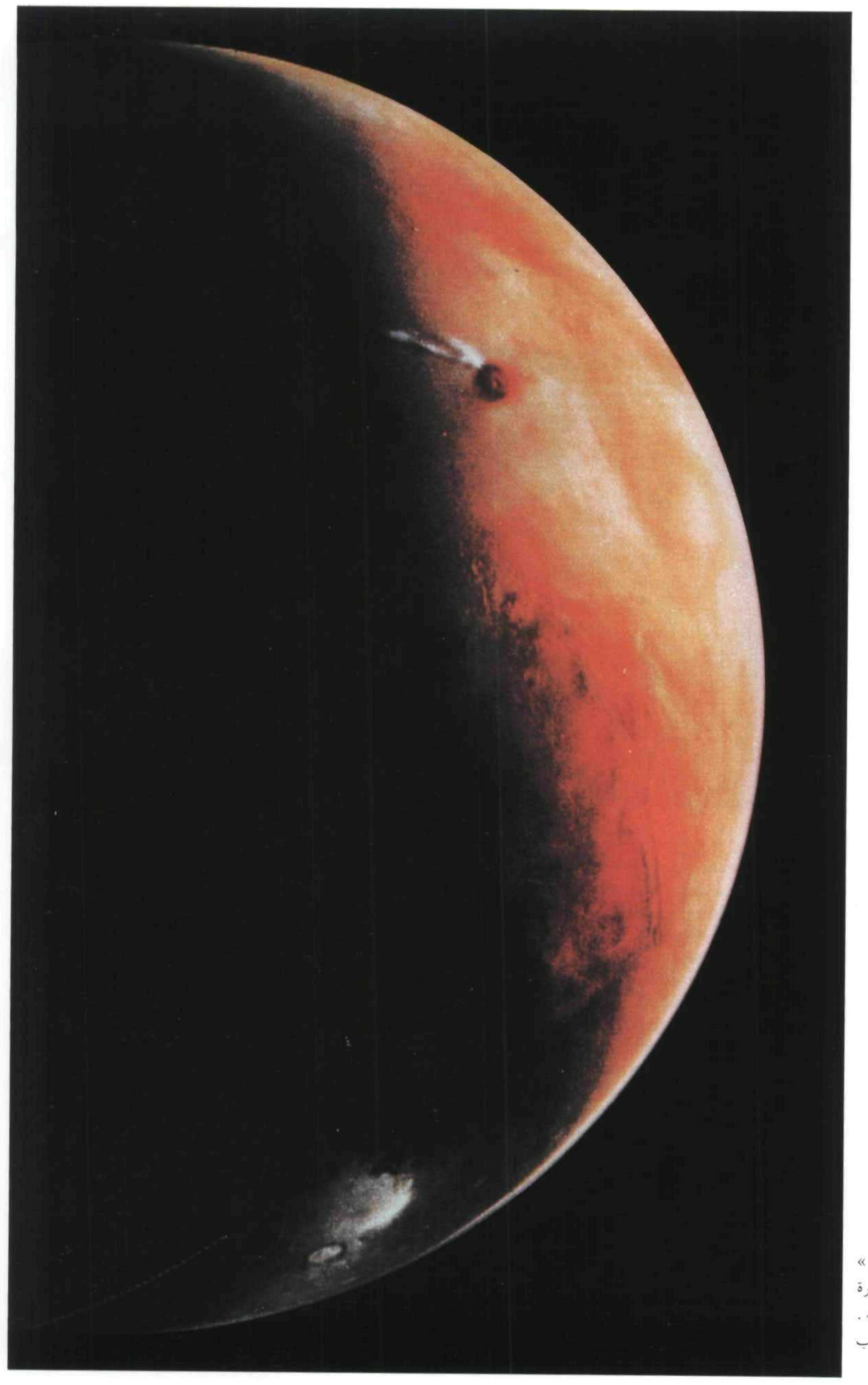
إن قيام المجمع العلمي العراقي باعادة الخريطة الى اصلها العربي وطبعها وقيام نقابة المهندسين العراقية باعادة طبعها ونشرها لدراسة الدكتور سوسة ، تعد مأثرة من مآثر هذين الصرحين العلميين في الحفاظ على التراث العلمي للعلماء المسلمين الأوائل □

المراجع

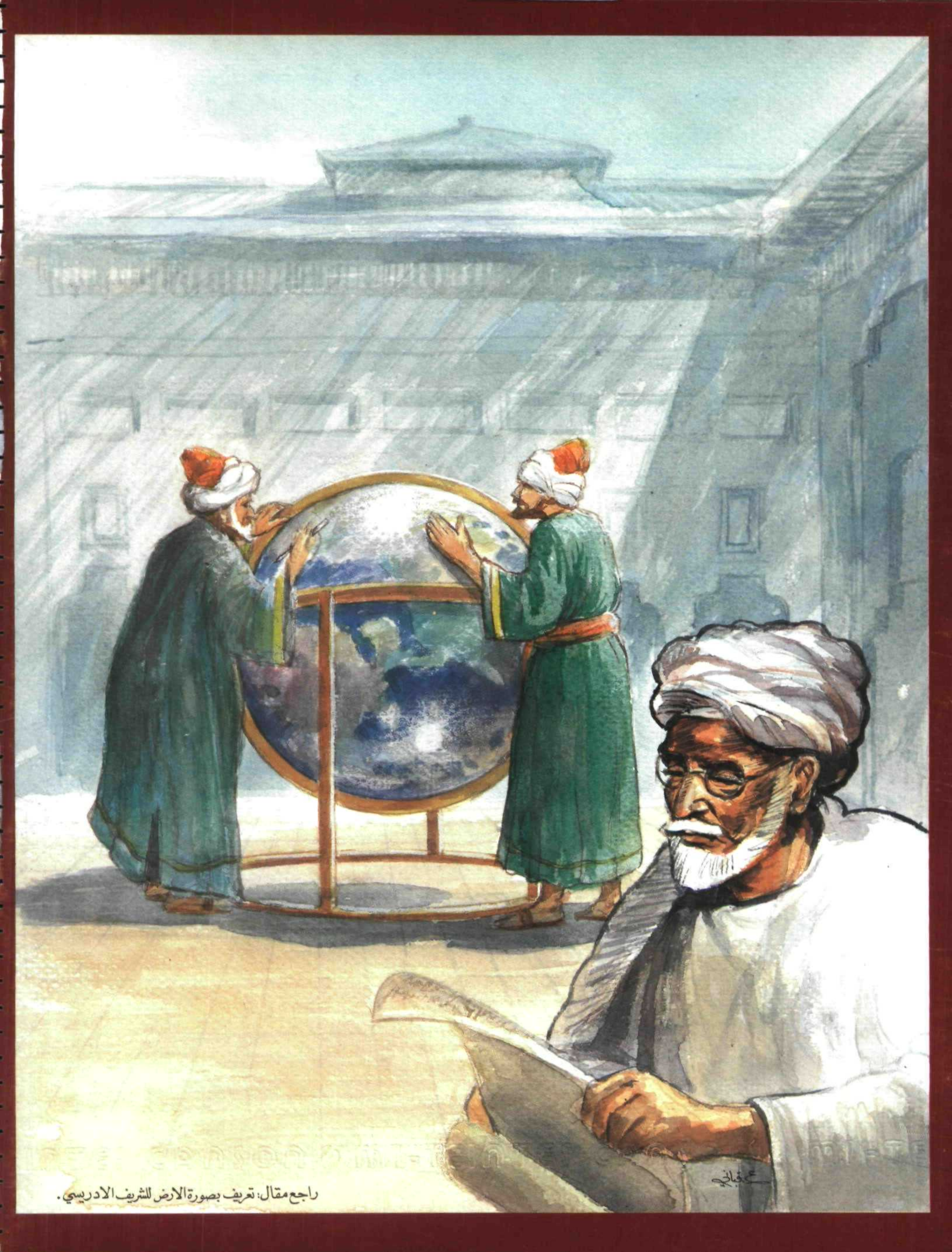
١ ـ Konard Mueller, Mappae Arabicae, Arabische Weit und Laender Karten des 9-13 Jahrhunderte 5 Baende I-V und Beihaefte-Stuttgart 1926-1930.

٢ ـ د. أحمد سوسة : « الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية » ، نقابة المهندسين العراقية ، ١٩٧٤ م بغداد .

٣ ـ د. حسين مؤنس : « أطلس تاريخ الاسلام » ، الزهراء للاعلام العربي ١٩٨٧ م القاهـرة .



صورة التقطتها « فايكنج ٢ » للمريخ . يظهر في أعلى الصورة أحد البراكين الكبيرة بالكوكب . راجع مقال : المريخ .. كوكب الأساطير والحكايات .



راجع مقال: تعريف بصورة الارض للشريف الادريسي.